

قداسة الحبر الاعظم

بيوس الحادي عشر

بمناسبة ترقيته الى السدّة البطرسية

في ٦ شباط ١٩٢٢



امام الاحبار

قداسة البابا بيوس الحادي عشر

نظر تاريخي في حياة الحبر الاعظم الجديد

لحضرة الاب ليوبلد فنك اليسوعيّ احد اساتذة معهد الدروس الكتابيّة في رومية

توطئة

يحقُّ لنا أن نفتتح هذه النبذة الوجيزة بآية اشعيا النبي (٤٢: ١—٣) اذ قال مبشّراً بالسيّد المسيح: «هوذا عبدي الذي اخترتهُ فتاي الذي سُرّت بهِ نفسي قد جعلتُ رُوحي عليهِ فهو يُبدي الحكم للأُمم». ذاك لعمري كلام ينطبق على رئيس الكنيسة الذي يختارهُ الربّ لينوب عنهُ على الارض ويحيي في شخصهِ روح سيّدهِ.

بيد انَّ لله في اختيار عبيدهِ عموماً عنايةً خاصّة ليعدّهم الى مباشرة ما ينتدبهم اليهِ. وهذا اصحّ في الذين يريدهم لتدبير كنيستهِ ألا ترى الذين دعوها في عهد قريب منّا فكانوا متّصفين بمزايا توافق زمانهم ايّ موافقة. فهذا بيوس التاسع كان في وجه الثورة الايطاليّة كالصخرة الصمّاء غلبوهُ على ملكهِ لكنهُ غلبهم بثباتهِ وشهامتهِ.

وهذا لاون الثالث عشر جعل الكنيسة كنار تستضيء بهِ جميع الدول وتسترشد بنورهِ . وهذا بيوس العاشر صرف همَّهُ في توطيد دعائم الكنيسة بازاء الاضاليل العصرية ونفخ فيها روحاً جديدة . وهذا بندكتوس الخامس عشر ضبط سكّان السفينة البطرسيَّة في وقت هيجان الشعوب وانقلاب احوال الدنيا فكان ربَّاناً حكيماً نجّاها من الانواء بل استحقَّ ان يُدعى كيوسف بن يعقوب « مخلّص العالم » . فلا بدع انَّ لله في اختيار عبدهِ بيوس الحادي عشر غايةً اهلاً بجلالهِ لشفاء ادواء العالم وإنعاشهِ من كبوتهِ وتأليف التقارب بين الدول المتحاربة . وكأنَّ ارباب الامور شعروا بدعوتهِ هذه فتوسَّموا بهِ الخير واستبشروا اجمالًا بانتخابهِ حتَّى اشدُّهم نفوراً من البابويَّة كايطالية وتركيَّة واليونان

فبياناً لِما قدَّمناهُ ها نحن نعرّف اولًا شخص المختار ثم طريقة انتخابهِ ونختم بذكر اعمالهِ الاولى

١ شخص المختار

الولد والدارس

يُدعى المصطفى من الله اشيل راتّي وهو بالغ الخامسة والستين من عمرهِ . رأى النور في بلدة دازيو من توابع ميلانو في سلخ ايار سنة ١٨٥٧ وهو الثالث من ابناء والديهِ الستَّة الذين انتقلوا الى ربّهم ما خلا اخاهُ البكر واختهُ الصغرى وكلاهما حيّ يُرزق . وكانت عائلتهُ من اوساط القوم واهل تُقى الله يتعاطى ابوهُ تربية القزّ . وقد احسن والدا اشيل تربية ابنهما ولذلك لم يبرح من قلبهِ حبُّهما ولاسيَّما والدتهُ المسنَّة فانهُ برَّها وخدمها الى وفاتها بكل تفانٍ

درس المبادئ في وطنهِ على الكاهن يوسف فولتنياري ثم انتقل الى مدرستي مار بطرس الشهيد ومونزا الاكليريكيَّتين . وكان يقضي أيام العطلة المدرسيَّة في الصيف عند عمّهِ رئيس الكهنة داميانو راتّي فالتقى عندهُ برئيس اساقفة ميلانو السيّد لويجي دي كالابيانا الذي عرف ما خصَّهُ الله بهِ من الذكاء وتوقُّد الذهن وجودة التُّقى وحسن الطباع فاحبَّهُ وقبلهُ في مدرستهِ الاكليريكيَّة العليا فانعكف مدَّة ثلث سنوات على الدروس الدينيَّة ففاق بها اقرانهُ وأدَّى بهِ نجاحهُ الى ان يرسلهُ رؤساؤهُ الى المدرسة اللُّنبرديَّة في رومية ليستقي من مناهلها العلوم الكهنوتيَّة على كبار اساتذة

الجامعة الغريغوريَّة التي تديرها الرهبانيَّة اليسوعيَّة. فانجز هناك دروسهُ ونال فيها قصبة السباق في الفلسفة واللاهوت والفقه الكنسي فخرج منها موسوماً بميزة الملفنة بعد ان رُقي الى رتبة الكهنوت في ٢٠ ايلول السنة ١٨٧٩

وكان رفيقهُ في الملفنة والكهنوت الشاب الذكيّ اسكندر تُوَالدي الجالس اليوم على كرسي رؤساء اساقفة باترمة في صقلية. فاحبَّ الحبر الاعظم ان يستقبلهما في بلاط الفاتيكان فتشرَّفا بالمثول امامهُ ونالا بركتهُ. ثمَّ اجابا دعوتهُ بان استعدَّا لامتحان خاصّ يؤهلهما للانتظام في اكادمية القديس توما التي انشأها قداستهُ فنجحا في الامتحان المطلوب وكانا اوَّل من حظي بذلك الامتياز

المعلّم وراقي جبال الألب

عاد الكاهن راتّي الى وطنهِ ميلانو سنة ١٨٨٢ فوكَل اليه الرؤساء خدمة النفوس ثمَّ دعوهُ بعد قليل الى التعليم في مدرسة ميلانو الاكليريكيَّة التي كان تخرَّج فيها سابقاً فعلَّم الخطابة الكنسيَّة تلامذة اللاهوت وكان يلقي المحاضرات الادبيَّة كلّ اسبوع على كافَّة الطلبة فيتهافتون جميعاً على استماعهِ لذلاقة لسانهِ وبلاغة كلامهِ وهم لا يزالون يذكرون حتَّى اليوم ما استفادوهُ من ابحاثهِ البيانيَّة ويشهدون لهُ بطول باعهِ في فنون الخطابة

وكان الاب راتّي مولعاً بمشاهد الطبيعة يقطع في أيام الراحة المسافات البعيدة ليمتّع بصرهُ بما اودعهُ الله من المحاسن في انحاء وطنهِ. وكان يطلب في ذلك ايضاً ترويض جسمهِ لعلمهِ بان الانسان الكامل نفسٌ سليمة في جسم سليم. وذلك ما حدا بهِ ان ينتظم في سلك جميَّة من المترقين في جبال الألب الشاهقة التي تحجز بين ايطالية وسويسرة. ولتلك الجمعيَّة نظامات وقوانين تراعيها. وكان الاب راتّي في أيام الصيف وبعد اتعاب الدروس يجدّد قواه المنهوكة بالصعود الى مشارف الالب. فكان بصبرهِ على التعب وثباتهِ في السَّير ورباطة جأشهِ في توقّل اعلى قمم تلك الاطواد يدهش رفاقهُ حتَّى انَّهُ بلغ سنة ١٨٨٩ ذروة جبل روز المعروفة باسم دوفور ناهجاً طريقاً لم يسلكها قبلهُ احد. وكان يتجشَّم الاخطار بين مزالق الجليد والثلوج الغرَّاء والصخور الشاهقة وكان اذا عاد الى ميلانو روى في المجلات تفاصيل رحلتهِ وملحوظاتهِ العلميَّة وما لقيهُ في سبيلهِ من المصاعب ليقف عليها غيرهُ. وممَّا اخبرهُ

أنهُ ضلَّ يوماً طريقهُ فبات ليلةً تامة على رأس جبل يعلو ٣٠٠٠م؟ متر فوق سطح البحر يقاسي مع رفيقهِ آلام البرد القارس ٠وسقط دليلهُ مرةً أخرى في حفرة عميقة فخاطر الاب راتي بحياتهِ وخلَّصهُ بعد الجهد الجهيد ٠ وكأنهُ بصعودهِ الى مشارف الجبل الابيض وجبل سرڤين وجبل روزكان يرمز الى معالي الشرف واسمى رقاه الله اليها في هذه الأيام

خمس سنوات قضاها الكاهن راتي في التعليم احرز لهُ فيها فخرًا عقلياً وربح شكر تلاميذه إجمالاً ودلَّ على براعتهِ في تلقين العلوم البيانيَّة وايضاح مشاكلها العويصة مترشحاً بها لتعليم الكنيسة الجامعة ٠ وكانت دروسهُ الخاصة زادتهُ رغبةً في توسيع نطاق معارفهِ فما لبث ان ادرك جلَّ بغيتهِ

ناظر المكتبة الامبروسيَّة ودرجها

في مدينة ميلانو مكتبة شهيرة تُدعى بالمكتبة الامبروسيَّة نسبةً الى القديس امبروسيوس ملفان الكنيسة انشأها سنة ١٦٠٩ الكردينال فردريك بورومايوس ابن اخي الكردينال السامي البرارة والعجيب المآثر القديس شرل بورومايوس رئيس اساقفة ميلانو ٠ فهذه المكتبة تُعَدُّ اليوم من اغنى مكاتب اوربَّة بوفرة مطبوعاتها النادرة ومخطوطاتها القديمة الغربيَّة والشرقيَّة البالغة خمسائة الف كتاب بثيِّف يقوم بخدمتها اكبر العلماء من اكليروس ابرشيَّة ميلانو المتَّصفين بعزَّة الملاقدة ٠ ففي ٥ تشرين الثاني تولّى احد نظار تلك المكتبة الكاهن فرتوناتو فيلًا العالم باللغة العربيَّة فرشَّح الكاهن اشيل راتي نفسهُ ليخلفهُ في مهنتهِ رجاء ان يتسَّع بتلك الكنوز العلميَّة في ساعات الفراغ ٠ فلبَّت اللجنة المشكّلة لخدمة المكتبة الى ملتمس الطالب بعد امتحانات معلومة اعرب فيها عن مقدرة عجيبة

فحدثْ ولا حرج بفرح الناظر الجديد اذ دخل ذاك المعهد الجليل وشرع يستقري جواهرهُ العلميَّة ٠ وكان اذ ذاك رئيس المكتبة احد مشاهير العلماء الكاهن انطون تشيرياني صاحب التآليف المعتبرة فاتَّخذهُ مرشداً وإماماً في تنقيبه عن دفائن العلوم ودررها المكنونة ٠ فما عتَّم أن احاط علماً بمحتويات المكتبة حتى اصبح خير دليل لمن كان يقصدها من العلماء فيقوم بخدمتهم ويُفيدهم طاقة جهدهِ عن كلّ ما يطالبونهُ به بخصوص مضامينها

وكان اذا فرغ من شغلهِ مع الوفود انكبَّ على المطالعة وانقطع الى الكتابة والتأليف. واوَّل ما باشر بتصنيفهِ تنظيم المكتبة الامبروسيَّة ووَصْف محتويلها على الطريقة المستحدثة الجارية في المكاتب الاوربيَّة الكبرى فكان في ذلك احسن مُساعد للاب تشرياني فانجزا عملهما وبهِ وفرا التفتيش المملّ على القادمين الى المكتبة

ثمَّ تخصَّص الكاهن راتّي بالعلوم التاريخيَّة ونشر منها عدداً لا يُحصَى بينها التآليف الكبرى كأعمال كنيسة ميلانو وطقوسها في عدَّة مجلَّدات وكآثر بعض الاحبار الرومانيين ولساقفة ميلانو ومشاهير علماء ايطالية. وله في المجلَّات الايطاليَّة العلميَّة والدينيَّة مقالات شهريَّة واسبوعيَّة تبلغ المئات عدًّا كان العلماء يعوّلون عليها في ابحاثهم ويقرّون بفضل كاتبها

ولمَّا استأثر الله بالاب تشرياني السابق ذكرهُ سنة ١٩٠٧ أجمع الكلّ على تعيين الاب راتّي كخلفهِ في رئاسة المكتبة الامبروسيَّة. فكان خيرَ خلفٍ له في تلك المهنة الشريفة. فزاد اهتمامهُ بالمكتبة وتوسيع معاهدها وما يَلحق بها من المتاحف والمجموعات الفنيَّة حتَّى استحقَّ ثناء كلّ الوافدين الى ميلانو لدرس آثارها العلميَّة

وممَّا يُذكر له بالشكر ايضاً في عهد رئاستهِ على المكتبة الامبروسيَّة انهُ سعى بتحصيل مخطوطات قديمة تزدان بها خدمة العلوم ولاسيَّما المخطوطات الشرقيَّة واخصّها العربيَّة التي اقتنى منها ١٨٠٠ مجلَّد تحتوي على نحو ٦٠٠٠ كتاب بين صغيرٍ وكبيرٍ اتى بها بعض السيَّاح من انحاء اليمن وسعى بوصفها السنيور غريفيني

خادم النفوس

بقي الكاهن راتّي ٢٢ سنة في المكتبة الامبروسية بين الدفاتر والمحابر وخدمة الزوَّار والدارسين. على انَّهُ في تلك المدَّة الطويلة لم تبرح من ذهنهِ فرائضهُ الكهنوتيَّة وخدمة النفوس. وكان مذ رجع بعد دروسهِ الى وطنهِ انضمَّ الى جماعة من الكهنة يُعرَفون بمتطوّعي القديس شرل بورروماوس يأخذون على نفسهم الطاعة العمياء لاسقفهم ليختارهم لأشقّ الخِدَم وأصعبها فيكونوا طوع بنانهِ في كلّ ما يأمرهم بهِ او يرغبهُ دون امرٍ صريح. فكان رئيس اساقفة ميلانو الكردينال فرّاري يثني على غيرة الاب راتّي وسرعة تلبيتهِ لاوامرهِ في كلّ ما يعرضهُ عليهِ من اعمال الكهنوت

وممَّا شكرتهُ له الراهبات الفرنسويَّات المعروفات براهبات السيناكل (علّية صهيون) انَّهُ رضي ان يكون خادم ديرهنَّ ومدير اعمالهنَّ فاصبح ديرهنَّ بهمَّته مركزاً معتبرًا

لكل اعمال الخير والرياضات الروحيّة في كلّ ادوار السنة . وكثيراً ما كان يلقي المواعظ في كنائس ميلانو ولاسيا كنيسة القديس يوسف والجالية الالمانيّة والسويسريّة

وكان الاب راتّي يخدم النفوس بدون مراعاة للوجوه لا يفرق بين الصغير والكبير وبين الفقير والامير بل كان يؤثر خدمة المهملين والصغار. فمن ذلك انهُ كان يجمع كلّ يوم احد أحداث الفقراء من الساويين المشتغلين بتنظيف المداخن فيعلمهم التعلم المسيحي ويعدّهم لقبول الاسرار فكانوا يعتبرونهُ في غربتهم كأبيهم

لا بل كان الاب راتّي يأخذ على نفسه المدافعة عن حقوق المظلومين حتّى بازاء الحكومة الإيطاليّة كما فعل سنة ١٨٩٨ لمّا زجَّ الشرط الآباء الكبوشيين في الحبس لتهمة باطلة اتّهموهم بها فدخل على حاكم المدينة بكل جرأة ولم يزل يحمي ذمار الرهبان ويبيّن براءتهم حتى اطلق الحاكم سراحهم

ناظر المكتبة الواتيكانيّة ورئيسها

وكان اسم الكاهن راتّي تتناقلهُ الجرائد وتنتشر سمعتهُ في البلاد فلمّا كانت السنة ١٩١٠ طلب الاب فرنسوا إهرلي اليسوعي رئيس مكتبة الڤاتيكان العظمى ان يُعطى لهُ مساعد لتقدّمه بالعمر وشعوره بانحطاط قواه فخاف ان تُعرّض المكتبة للضياع اذا اصابهُ موت او مرض فرأى بمشورة السعيد الذكر البابا بيوس العاشر انَّ الكاهن راتّي افضل من سواه لهذه المهنة لسعة معارفهِ ومقدرتهِ الاداريّة فاستدعاهُ الى رومية فكان خير معين لناظر المكتبة الڤاتيكانيّة ثمَّ خلفهُ في رئاستها سنة ١٩١٤ بعد استعفاء الاب إهرلي الموما اليه اذ تحقّقت آمالهُ بمعينه

غنيّ عن البيان انَّ منصباً كهذا كان من شأنهِ ان يستنفد قوى صاحبه بيد انَّ الاب راتّي قام بأعبائه احسن قيام فقدَّر العلماء قدرهُ واختبروا طول باعه في ادارة تلك المكتبة الواسعة التي يقصدها الالوف من الاختصاصيين . واسرعت الجمعيات العلميّة وعرضت عليه الانتظام في عداد اعضائها . فكان من انشط مراسليها حتى كاد ينوء تحت اعباء مراسلاته لولا انَّ الحرب خفّفت منهُ الشغل نوعاً لصعوبة المواصلات بين البلاد وقلّ عدد العلماء القادمين الى رومية لاجتناء فوائد مكتبتها الفريدة. فامكنهُ ان يواصل تآليفهُ وكتاباته فألقت اليه نظر البابا بندكتوس الخامس عشر الذي اتّخذهُ كسمير فوجدَ في آرائه السديدة وفي معارفه المشاكل العديدة في زمن الحرب الكونية خير مشير

ولم تكن الحرب وضعت بعدُ اوزارَها اذ استخرج الحبر الاعظم تلك الدرّة من صدفتها في ٢٥ نيسان سنة ١٩١٨ واعتمدهُ في امور دولتهِ البابويّة وارسلهُ الى بلاد بولونية وما جاورها من الأقطار المنفصلة عن روسية بصفة زائر رسولي لتدبير امورها الدينيَّة . وكانت المانية لا تزال باسطةً حكمها على بولونية فأحسن الاب راتّي في تصرُّفهِ وابدى من فطنةٍ غريبة حتّى اكتسب ثقة الجميع فكان الاساقفة والاهلون يستقبلونهُ عموماً بفرح جزيل ويرضخون بكل طيب خاطر لِما يعرضهُ عليهم من التدابير. فزار معظم البلاد وأطلع الكرسي الرسولي على سائر احوالها وحجّ الى معبد السيّدة البتول الشهيرة في بولونية ببيّدة كزنستوشوڤا

وفي تلك الاثناء أعلن المتحاربون بالهدنة واستقلّت بولونية بامورها فرقَّاهُ الحبر الاعظم الى رتبة قاصد رسولي في الدولة الجديدة وتقدَّم الى رئيس لساقفة ورسو (ڤرسوڤية) الكردينال كاكفسكي بان يسيمهُ رئيس اساقفة على ليبانت شرفاً . فتمَّت الحفلة في ٢٨ تشرين الاوَّل من السنة ١٩١٩ وكان سبق فقدَّم لرئيس الجمهوريَّة السيّد بيلسودسكي اوراق عهدتهِ في ١٩ تموز

على انَّ الجيوش البولشفيَّة كانت واقفةً لبولونية بالمرصاد فزحفت على عاصمتها وكادت تستولي عليها فاخذ الجميع اهبتهم للفرار من وجه اولئك الاشرار لعلمهم بشراستهم وهمجيَّة اخلاقهم . أمَّا السيّد راتّي فأبى الّا ان يثبت في مركزهِ قائلًا لمن يحثُّهُ على الرحيل : اني لا ابرح مكاني مهما تهدَّدني من الاخطار وقد قدَّمت لله حياتي فلتكن مشيئتهُ . فكانت شهامتهُ هذه تنشيطاً للحكومة التي استعانت بنصائحهِ وفازت بذلك العدوّ الاحمر . وبذلك زادت ثقة الجميع بالقاصد الرسوليّ فلم يدَّخر وسعاً في تنظيم تلك الدولة المستحدثة على المبادئ الكاثوليكيَّة لتحيي ماضيها الشريف . واجتهد خصوصاً في انشاء كليَّة جامعة كاثوليكية في عاصمة الدولة . ومن مساعيهِ المشكورة لدى عصبة الامم واللجنات القائمة منها ان تُعاد سيلزيا العليا لبولونية لثبوت حقوقها عليها . ولمَّا طلب الحبر الاعظم مساعدة الدول لاسعاف المنكوبين ويتامى الحرب والاحداث المتضوّرين بالمجاعة امتاز البولونيُّون بسخائهم مع ضنك احوالهم فجمع القاصد السيّد راتّي عدَّة ملايين من الفرنكات لهذه الغاية

الكردينال ورئيس اساقفة ميلانو

وفي تلك الاثناء فقدت مدينة ميلانو رئيس اساقفتها القديس الكردينال فراري الجليل الذكر والمديد المآثر. فكان اول ما فكّر الميلانيّون والحبر الاعظم في السيّد اشيل راتي ليقوم برعاية تلك الحاضرة فيخلف السيّد فراري الذي كان يعدّهُ من اعزّ كهنتهِ مدّة ٢٠ عاماً فتمّ فكرُهم فعلاً وفي ١٣ حزيران سنة ١٩٢١ عهد اليهِ بندكتوس الخامس عشر تدبير كنيسة القديس امبروسيوس ونظمهُ في سلك الكرادلة من رتبة الكهنة بالوكالة على كنيسة القديسين سلوستروس ومارتينوس دي مُنتي معدّداً في مجمع الكرادلة صفاتهِ وخدمهُ المتعدّدة في سبيل الدين والعلم

عاد نيافة الكردينال راتي الى ميلانو بعد أن اعتزل بضعة أيام في دير جبل كاسين لمناجاتهِ تعالى في رياضة روحيّة. فعمّ الفرح قلوب اهلها عموماً حتّى ارباب الحكومة الايطاليّة واركان جنودها فتناصروا في حسن استقبالهِ وزيّنوا المدينة في دخولهِ فكان يوماً مشهوداً احاطت الرعيّة كلها براعيها المحبوب واعربت شفاهاً وبالسان الصحائف عن عواطفها لرئيسها الجديد فاجاب الكردينال مطرناً في خطابهِ سجايا الميلانيين الطيّبة وتشبّثهم الدائم بالسدّة البطرسيّة الجالس عليها امامٌ اسرَ بمحبّتهِ قلوب المسكونة وعزّز الكنيسة في اعين كافّة الدول

وبعد أيام قليلة في اواسط شهر آب اراد الكردينال ان يستمطر نعم العذراء على ابرشيّتهِ فسار في مقدّمة فئة من الكاثوليك الايطاليين الى زيارة سيّدة لورد في مقامها الشهير في فرنسة فخرج لملاقاتهِ اسقف ترب ولورد السيد شوبفر فتبادلا ارقّ عبارات الولاء والاكرام. ولا شكّ انّ البتول افاضت على عبدها اسبغ بركاتها وأعدّتهُ لما كان ينتظرهُ من المنصب السامي

وفي اوائل الخريف صار تدشين اوّل كليّة جامعة كاثوليكيّة في ايطالية سعى بتشييدها الكردينال فراري في ميلانو فأحب الحبر الاعظم ان ينوب الكردينال راتي تلك الحفلة البهجة باسمهِ كممثل قداسته . فزادت بتوليتهِ عظمةً وبهاء وكان في جملة الحضور حاكم المدينة وحاشيتهُ ببزّهم الرسميّة

وفي الاشهر القليلة التي بقي فيها رئيساً على كنيسة ميلانو أتى عدّة اعمال مجيدة حقّقت آمال ابنائهِ في شخصهِ الكريم كالقائهِ المواعظ في الآحاد والاعياد وتنظيمهِ

لمدارس الشعب والتعليم الديني فيها وكتوسيعهِ للشركات الخيرية التي وجد له في اهل ابرشيتهِ خير مساعدين على تنميتها ورقيها . ولم تنقصهُ في تلك المدة الاوسمة والامتيازات الدولية نخصّ منها بالذكر وسامي بولونية النسر الاسود ثم النسر الابيض

٢ الانتخاب البابوي

لمّا انتقل السعيد الذكر البابا بندكتوس الى جوار ربهِ في الشهر الثالث من كانون الثاني المنصرم لم يَدُر في خَلَد معظم المتوسّمين في الكرادلة انتخابهم للخلافة البطرسية ان كردينالًا حديث العهد كرتيس اساقفة ميلانو يُقدَّم على شيوخ الكرادلة . غير انَّ افكار الله غير افكار البشر . وكأنَّ مرؤوسيه الميلانيّين شعروا بأنهُ سيكون مختار الربّ فتجمهروا ورافقوهُ الى المحطّة عند سفرهِ الى رومية . وكذلك اهل بولونية الذين عرفوهُ حقّ المعرفة توقَّعوا انتخابهُ فما خاب ظنّهم

ولمّا نال الكردينال راتي معظم اصوات المُنتخِبين اعني ثُلثيها على الاقلّ اجمعوا كلّهم دون استثناء انَّ المختار هو احقّ واجدر بهذا الشرف السامي ورأوا في سوابق حياتهِ كعالم نحرير وكراعٍ حكيم ومدبّر خبير يجمع بين الحزم واللين وبين الفطنة والإقدام ما يضمن له حسن رئاسة الكنيسة جمعاء مع معرفتهِ بلغات كثيرة واختبارهِ لأحوال الدول التي كان تفقّد عواصمها كباريس وفينّة ولندرة

ويضاف الى هذه الصفات انَّ البابا الجديد وسيمُ المنظر كبير القامة ذو هيبة ووقار تلوح على جبهتهِ سمات العزّ والسؤدد مع رقّة طباع . وزد على ذلك بنيتهُ القويّة وصحّتهُ التامّة وجلَدهُ على الشغل ما يحملنا على الظنّ بطول رئاستهِ حفظهُ الله

وكان انتخابهُ في منتصف يوم الاثنين ٦ شباط بحضور ٥٣ كردينالًا والاحياء منهم اليوم ستّون فغاب ثلثة لعجزهم ومرضهم وتأخر اربعة كرادلة اميركة فوصلوا بعد الانتخاب الذي صار افتتاحهُ في الخميس السابق فدامت المداولات والجلسات مدّة اربعة أيام وتمّ كلّ شيء على موجب القوانين المقرّرة لذلك وليست هذه المدّة بكثيرة لما يتوقّف على حسن الانتخاب من الخطورة وعظم المسئولية

وكان الشعب يجتمع كل يوم في ساحة كنيسة مار بطرس الوفاً مؤلّفة بلغ عددهم الى مائة الف بنيّف ينتظر اشارةً معلومة بشعلة اوراق التصويت لا يعقبها دخان . فما عاينوا ذلك الّا ارتفعت اصوات الفرح الى عنان السماء وبعد نصف ساعة انفتحت

النافذة المؤدّية الى الطنف الخارجي الذي يعلو فوق كنيسة مار بطرس المطلّ على الساحة المذكورة فخرج منها حاجبان اعلنا بشخص المنتخب ونثرا على الحضور اوراقاً عليها اسمهُ ونشرا من عَلٍ شعارهُ الخاصّ وفرشا بساطاً. فما لبث ان خرج الحبر الاعظم بالثياب البابويّة البيضاء يتقدّمهُ الصليب المقدّس حاملًا لهُ اقدم الكرادلة الشمامسة وذلك لاوّل مرّة منذ عهد بيوس التاسع احتجاجاً على الدولة الايطاليّة فنح البركة الرسوليّة للمدينة وللعالم اجمع من الخارج بدلًا من داخل الكنيسة

فليس قلمٌ يستطيع وصف ما غلب على الحضور من السرور لدى رؤيتهم نائب المسيح فظلّوا ساعةً يصرخون: فليحيَ بيوس الحادي عشر! فليحيَ حبرُنا الاعظم!. وكانت هناك كتيبة من الجند الايطالي فقدّمت للبابا التحيّة العسكريّة ودقّت نفيرهم. وكلّ ذلك على غير سبَق من جهة الحكومة. وكلّ هذه التظاهرات قد جرت في يوم مطير دون ان يكترث لذلك اولئك الجموع

امّا ما جرى للحبر الاعظم من الاكرام وتقدمة الخضوع من سائر الكرادلة فذلك ممّا وصفنهُ سابقاً مجلّة المشرق (٦ [١٩٠٣] : ٧٢٧–٧٣٩) لا حاجة الى اعادتهِ. وانّما نقول انّ الدُول كلّها تقبّلت نبأ اختيار بيوس الحادي عشر بكل ارتياح وتسارعت الى إرسال برقيّات التهانئ الى مقامهِ. وكان سبق ملك اسبانية فوكل الى رئيس اساقفة سراقسطة الكردينال سلدفايلا اي روميرو بأن يقدّم لقداستهِ اوّل تحيّات الملوك باسمهِ وباسم كلّ الشعب الاسباني ففعل فوراً. وكان لفعلهِ تأثيرٌ عظيم في كلّ الحضور

وما عتّم السفراء ان اجتمعوا في الڤاتيكان فقدّموا للحبر الروماني مراسيم التهنئة باسمهم وباسم دولهم وكان المتقدّم بينهم سفير اسبانية يتكلّم باسم الجميع وهم يمثّلون ٣٢ دولةً

ولمّا كان اليوم الثاني عشر من الشهر تمّت حفلة تتويج البابا في كنيسة مار بطرس بحضور جميع الكرادلة والسفراء والاعيان وعدد لا يُحصى من الشعب الروماني والغرباء برُتب دينيّة وطقوس فخيمة تأخذ بمجامع القلوب وتفوق على كل المشاهد العالميّة. وكان المكلّف بتتويج الحبر الاعظم الكردينال بيليو اليسوعي الفرنساوي. وختم الحبر الاعظم هذه الحفلات بعد ان حملهُ الحرس الشرفي على المنصّة البابويّة بمنحهِ ثانيةً البركة الرسوليّة من جناح كنيسة مار بطرس الخارجي لسائر الحضور وللعالم اجمع

٣ مآثر الحبر الاعظم الاولى

لا نتّسع في هذا الامر ونحن الآن في فاتحة خلافة الحبر الاعظم وانّما نجد في بعض اعماله ما ينبئ عن افكاره وعن استعداده لتدبير الامور

فمن ذلك اختياره لاسم بيوس وقد بيّن سببه بقوله لوصيفه في الدروس الكردينال لوالدي اني قد وُلدتُ على عهد بيوس (التاسع) وتوظّفت في رومية على بيوس آخر (العاشر) ثمّ ان اسم بيوس اسم سلام فسأدعى ايضاً بيوس • ولعلّه وجد ايضاً في الذين سبقوه قديماً بهذا الاسم ما حبّبه اليه . كبيوس الرابع الذي كان مثله من ميلانو وهو من سلالة المديشيس الشهيرة . وكبيوس الخامس القديس الذي انقذ ايطالية من الاتراك . وبيوس السابع الذي اعاد للبابويّة رونقها بعد نابوليون الاوّل

ومنها شعاره البابوي الممثّل في قسمه الاعلى نسراً ذا رأسين اشارةً الى سفارته في بولونية وفي القسم الاسفل ثلث كُرات مشيراً بها الى اسمه راتي الذي يدلّ على السرعة والنشاط في العمل وتحت الشعار هاتان الكلمتان (raptim transit) اي يسير مسرعاً

ومنها انّه ابطل عادة اسلافه الثلثة بخروجه الى الشعب في اعلى ساحة كنيسة مار بطرس لتعمّ بركته رومية والعالم اجمع ومعلناً بذلك انّه مستعدّ ان يصالح حكومة ايطالية التي أشعرت بتقرّبها الى الكرسي الرسولي ولإعلانها نيّتها بتحوير خطّتها مع رئيس الكنيسة

ومنها اخيراً انّه ثبّت في منصبه كوزير دولته نيافة الكردينال غسباري مع كافة مأموريه منبئاً بذلك انّه يريد ان يجري على آثار سلفه في سياسته السلميّة مع العالم باجمعه ليكون هو رائد السلام بين الشعوب في هذه الازمنة الحرجة . فما لنا الّا ان نردّد مع الكنيسة صلاتها الى الله لاجل رئيسها • فليحفظه الربّ ويمدّه بالقوّة والنعمة ويسعده في الارض ولا يسمح بان تقوى عليه يد اعدائه • (١

---

١) كانت هذه المقالة ماثلة للطبع إذ وردت علينا نبذة أخرى حسنة من قلم احد دكاترة المكتبة الامبروسيّة في ميلانو ممّن عرفوا الحبر الاعظم وقدّروا اعماله وهو حضرة الكاهن جوان غلبياتي (G. Galbiati) ملفان اللاهوت والفلسفة والآداب . فكنّا وددنا ان ننشرها لولا تأخرها عن النبذة السابقة فاكتفينا بالاشارة شاكرين لحضرته

رئاسة القديس بطرس

بقلم حضرة الاب انطون صالحاني اليسوعيّ

توطئة

من المقرر انهُ طالما كان السيّد المسيح على الارض رئيساً على الجمعية الجديدة التي أسسها أعني الكنيسة لم يكن ممكناً لسمعان بطرس ان يتصرّف بالرئاسة لان الرب يسوع وهو الرئيس الاوّل والاعظم كان مقيماً مع التلاميذ ولم يكن بطرس الا نائباً منه ولانَّ السيّد المسيح كان وعدهُ فقط بالرئاسة اذ قال له: «انت الصَّفاة وعلى هذه الصَّفاة سأبني كنيستي ... وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات» (متى ١٦: ١٨ و ١٩). ومن ثم كان السيّد المسيح يُعدُّ بطرس لهذه الرئاسة ويُدرّبهُ اليها تدريجاً ويعوّد التلاميذ شيئاً فشيئاً على ان يشعروا ويفهموا ان بطرس سيكون الرئيس. وذلك لئلا يخامرهم الحسد ويداخلهم النفور وتقوم فيما بينهم المباحثات والمجادلات في ايهم الاعظم كما حدث مرارًا فالتزم الربّ ان يُوصيهم بان يؤثروا التواضع وان يكون الاكبر فيهم كالخادم

لا يخفى ان التلاميذ كعامّة اليهود لم يكونوا مستعدّين لفهم وقبول ما كان يريد المسيح ان يُبيّنه لهم ويعلّمهم اياه. فقد قال لهم في آخر يوم من حياته في العشاء السرّي: «ان عندي كثيرًا اقوله لكم ولكنّكم لا تطيقون حمله الآن» (يوحنا ١٦: ١٢) فبالأحرى لم يكونوا يطيقون فهمه وقبولهُ في بدء كرازته بالانجيل وذلك لانّ افكار اليهود والتلاميذ انفسهم كانت بشريّة. فكانوا يملّلون نفوسهم بمملكة على الارض يكون فيها المسيح ملكاً عظيماً ويكونون هم من كبار الموظفين ولهذا السبب كان السيّد المسيح يحتملهم ويقوّم عوجهم بصبر ويرشدهم بنور تعاليمه كما شفى الاعمى تدريجاً ويكشف لهم شيئاً فشيئاً الحقائق والاسرار الالهية وكلّ ما يتعلّق بالمملكة الروحيّة التي انشأها اي الكنيسة

وهكذا تصرّف المسيح في اعلان رئاسة بطرس على الجمعية التي ألّفها. فانّه تجد لسه رغبةً في حفظ الوفاق والمحبة بين التلاميذ اعلن رئاسة بطرس وبيّنها

رويداً رويداً حتى بلغ معرفتها الى الكمال وازال كل شبهة وريب في حقيقتها . فكانت كالشمس التي يبدو ضوءها ضئيلاً عند الصباح وتسطع اشعتها وتبهر العيون في رائعة النهار

رئاسة القديس بطرس

١ في الاناجيل

عندما ابتدأ يسوع بكرازة الانجيل أتى اليه اثنان من تلاميذ يوحنا وكان احدهما اندراوس « وأقاما عنده ذلك اليوم » (يوحنا ١ : ٣٩) . ثم اتى اندراوس بأخيه سمعان الى يسوع . فلما نظر يسوع الى سمعان قال له : « انتَ سمعان بن يونا انتَ تُدعى كيفا الذي تأويله الصفاة » (يوحنا ١ : ٤٢) ومعنى الصفاة الصخرة الصُّلبة . فإعطاء يسوع لقبَ الصفاة لسمعان اول مرةٍ رآه لم يكن الّا لغايةٍ قصدها ربّ الحكمة . انما كانت غايتهُ تعالى ان يمهّد السَّبيل لما سيقوله له في ما بعدُ في قيصرية فيلبُس « انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها » (متى ١٦ : ١٨) ومن ثمَّ منذ ابتداء كرازة الانجيل قد اختار المسيح سمعان بن يونا اساساً اي رأساً للجمعية التي كان يُريد ان ينشئها فلقّبهُ بالصفاة

ومن ذلك اليوم نرى دائماً سمعان بطرس في مقدَّمة الرسل يشغل المكانَ الاول بالقول وبالعمل وذلك بتدبيرٍ خصوصي من المسيح . ولذا كلّ من الانجيليين اذ يذكر اسماء الرسل يصدّرها دائماً باسم سمعان بطرس . فاوّل الذين اختارهم يسوع ليكونوا تلاميذه كان سمعان بطرس « وفيما كان يسوع ماشياً على شاطئ بحر الجليل رأى اخوين وهما سمعان المدعو بطرس واندراوس اخوه يُلقيان شبكةً في البحر لانهما كانا صيّادين فقال لهما : اتبعاني فاجعلكما صيّادي الناس » (متى ٤ : ١٨ ومرقس ١ : ١٦) وحينما اختار يسوع الاثني عشر رسولاً يذكر الانجيليون سمعان بطرس في المقام الاول « وهذه اسماء الاثني عشر رسولاً : الاوّل سمعان المدعو بطرس » (متى ١٠ : ٢ ومرقس ٣ : ١٦ ولوقا ٦ : ١٤) فهو الاول ليس بالترتيب فقط لكن بالرتبة ايضاً . ولما اراد يسوع ان يعلّم الشعب المزدحم على شاطئ بحر جناسر « رأى سفينتين راسيتين في البحيرة . . .

فركب احدى السفينتين وكانت لسمعان وسأله ان يتباعد قليلًا عن البرّ وجعل يعلّم الجموع من السفينة» (لوقا ٥ : ٢ و٣) . فاراد المسيح بفعله هذا ان يُفهمنا انّ علم الايمان والآداب في بحر هذه العالم المضطرب سيصدر في المستقبل من سفينة بطرس اي من الكنيسة التي يرأسها بطرس وخلفاؤه . ولكي يؤيّد المسيح هذه الحقيقة صنع اعجوبة صيد السمك المرموز به الى صيد النفوس فانه «لمّا فرغ من الكلام قال لسمعان: تقدّم الى العمق وألقوا شباككم للصيد . فأجاب سمعان وقال له : يا معلّم إنّا قد تعبنا الليل كلّهُ ولم نُصب شيئاً ولكن بكلمتك ألقي الشبكة» (لوقا ٥ : ٤و٥) ويخبر الانجيلي انهم احتازوا من السمك شيئاً كثيراً حتى تخرّقت شبكتهم . فاعترى سمعان الانذهال من هذا الصيد العجائبي ٠ ٠ فقال يسوع لسمعان: لا تخف فانك من الآن تكون صائداً للناس» (لوقا ٥ : ١٠) . فلماذا اتمّ يسوع كل ذلك في سفينة بطرس ولماذا وجّه الخطاب الى سمعان بطرس مع ان ابني زبدى يعقوب ويوحنا كانا معهُ أليس لانّ يسوع كان اختار بطرس ليجعله رأس الكنيسة التي يُنشئها لخلاص النفوس؟

ثم اذا عيّن يسوع بعض الرسل ليرافقوه في امرٍ ما كان دائماً بطرس من جملتهم وفي مقدّمتهم . كما جرى اذ دخل يسوع بيت رئيس المجمع ليقيم من الموت الصبيّة طاليتا «فلم يدع احداً يتبعهُ الّا بطرس ويعقوب ويوحنا اخا يعقوب» (مرقس ٥ : ٣٧ ولوقا ٨ : ٥١) . وكذلك في تجلّي الربّ على الجبل لم يُصعِد معهُ الّا بطرس ويعقوب ويوحنا ليعاينوا مجده . اذ ان بطرس هو الذي يتكلم باسم الثلاثة قائلًا «يا ربّ حسنٌ لنا ان نكون ههنا» (متى ١٦ : ١—٩ ومرقس ٩ : ١—٨ ولوقا ٩ : ٢٨—٣٦) . وفي نزاع المخلّص في بستان الزيتون لم يصحب معه الى داخل البستان الّا هؤلاء الثلاثة ليشاهدوا حزنه واولهم بطرس «واخذ معه بطرس وابني زبدى وطفق يحزن ويكتئب» (متى ٢٦ : ٣٧ ومرقس ١٤ : ٣٣) . وإذ كانت عيونهم ثقيلة من النعاس والحزن لم يوجّه يسوع الكلام الّا الى بطرس «فقال لبطرس : أهكذا لم تقدروا ان تسهروا معي ساعة واحدة» (متى ٢٦ : ٤٠) وفي انجيل مرقس (١٤ : ٣٧) ويخصّص بالعتاب بطرس «فقال لبطرس : يا سمعان هل انت نائم أو لم تقدر ان تسهر ساعة واحدة» كأنه اذا عاتب بطرس عاتب الجميع لانه يمثّلهم بما انه الوكيل

وممّا يثبت ان بطرس كان مهيأً ليكون نائب المسيح والرئيس على الرسل ما ورد

مرارًا في الانجيل انه كان يجيب قبل الكلّ وباسم الجميع ·فلمّا حرّض المسيح الرسل على ان يكونوا كعبيدٍ ينتظرون سيّدهم ليفتحوا له·قال له بطرس: يا ربّ ألنا تقول هـذا المثل ام للجميع· (لوقا ١٢ : ٤١) . ولمّا قال يسوع انه يعسر على الغني دخول ملكوت السماوات نرى بطرس يسرع ويتكلّم باسم الجميع·اجاب بطرس وقال له: هوذا نحن تركنا كل شيءٍ وتبعناك · (متى ١٩ : ٢٧ ومرقس ١٠ : ٢٨ ولوقا ١٨ : ٢٨) . وعندما تكلّم السيّد المسيح عن إعطاء جسده مأكلًا ودمه مشربًا استثقل بعض التلاميذ كلامه ورجعوا الى الوراء وتركوه·فقال يسوع للاثني عشر: ألعلّكم انتم ايضًا تريدون ان تمضوا· (يوحنا ٦ : ٦٨) فمن منهم يا ترى يعطي الجواب المعزّي قلب يسوع؟ لا ريبَ في انه بطرس·فاجاب سمعان بطرس: يا ربّ الى من نذهب: انّ كلام الحياة الابديّة هو عندك وقد آمنّا نحن وعرفنا أنّك انت المسيح ابن الله · (يوحنا ٦ : ٦٩ و٧٠) هذا هو ايمان بطرس الحيّ القويم الثابت · وقد منحهُ الله موهبة هذا الايمان الغير المتزعزع لانه كان اختاره ليؤسس الكنيسة على هذه الصخرة

وامتيـاز بطرس هذا ليس فقط ظهر في اقوال المسيح واعماله وعَلِمَ بهِ التلاميذ لكنّه اجتاز جماعتهم واطّلع عليه الغرباء· فلما اراد الذين يَجبون الدرهمين أن يستوفوهما من يسوع لم يكلّموا الّا بطرس إذ اشتهر عنه انه المقدَّم في الرسل · يخبرنا الانجيل ·انهم لما أتوا الى كفرناحوم دنا الذين يجبون الدرهمين الى بطرس وقالوا له: أما يؤدّي معلّمكم الدرهمين · (متى ١٧ : ٢٣) . وممّا هو جدير بالاعتبار ان المسيح اراد ان يؤدّى عنه وعن بطرس ·وما ذلك الّا لانه كان نائبهُ· فقال له: امضِ الى البحر وألقِ الشصّ فاول سمكة ترفعها افتح فاها فتجد استارًا فخذهُ وأدِّ عني وعنك· (متى ١٧ : ٢٦) واذ أرسل يسوع تلميذين ليُعدّا الفصح كان اولهما بطرس (لوقا ٢١ : ٨) ولمّا غسل المسيح ارجل التلاميذ كان بطرس اول من تقدَّم اليه يسوع·فتقدَّم الى سمعان بطرس· (يوحنا ١٣ : ٦)

قد تحقّقنا من كل ما سبق ان المسيح قدّم سمعان بطرس على جميع التلاميذ والرسل · وقد علم بذلك بطرس فغداه يتصرّف دائمًا بمقتضى الرئاسة التي وعده بها المسيح فيتكلّم ويعمل ويسأل ويجيب كمن له وظيفة خصوصية والرتبة الاولى بين الرُسل ·ونشاهد سائر الرسل يحسدون بطرس على تفضيل يسوع له ويتباحثون مرارًا

فيما بينهم من هو الاعظم (مرقس ٩ : ٣٣ ولوقا ٢٢ : ٢٤) وعلى الخصوص يعقوب ويوحنا ابنا زبدى. فيا ان يسوع كان استصحبهما مراراً مع بطرس كان لهما الامل اكثر من غيرهم ان يتقدَّما عليه • فطلبا بواسطة أُمّهما ان يكون الواحد عن يمينه والآخر عن يساره في مُلكه (متى ٢٠ : ٢١ ومرقس ١٠ : ٣٧) • لكنَّ عهد الله لا يُنقَض فانه تعالى كان اختار بطرس ليكون أساساً لا لمملكة دنيوية زائلة بل لجمعية روحية هي الكنيسة فبقي بطرس أساسها ورئيسها

وبئاسة بطرس ليست شرفية فقط بل رئاسة سامية

ورب معترض يقول اني اعترف برئاسة بطرس في مجمع الرسل لاتضاح هذه الرئاسة في الاناجيل المقدسة لكني افهم بها رئاسة شرفية ليس الّا

فيلزمنا ان نبحث ونرى ما لهذا القول من الصحة • ان المسيح اذ اقام رئيساً على كنيسته لم يلتفت الى الشرف بل الى الخدمة وتضحية الذات لاجل ابناء الكنيسة • فقد قال عزَّ اسمه : «من اراد ان يكون فيكم أوَّل فليكن لكم عبداً كما ان ابن البشر لم يأتِ لِيُخدَم بل لِيَخدُم وليبذل نفسه عن كثيرين» (متى ٢٠ : ٢٧و٢٨و٢٣ : ١١ ومرقس ٩ : ٣٤و١٠ : ٤٣) فيلزم ان يكون نائب المسيح كمعلّمه عبداً وخادماً • ولكن هذا لا يمنع ان تكون له السلطة في الكنيسة بالنيابة عن ابن الله • كما بيَّن ذلك السيد المسيح • فانه لما جاء يسوع الى نواحي قيصرية فيلبس سأل تلاميذه قائلاً : من تقول ان ابن البشر هو • (متى ١٦ : ١٣) فسؤال يسوع هذا لم يكن ليعلم ما كان يعلمه بالمرنة التي أغاظها على ناسوته اللاهوتُ المتَّحد به جوهرياً بل لتتسنَّى لبطرس الفرصة ان يعترف بلاهوت المسيح فيتقلَّد بالرئاسة على الكنيسة ويتقلَّد فيها السلطة المطلقة • «أجاب سمعان بطرس قائلاً : انت المسيح ابن الله الحي» (متى ١٦ : ١٦) • فاعتراف بطرس هذا بألوهية يسوع كان وحياً له من الآب لانَّ الله كان اصطفاه منذ الازل ليكون هامة الرسل وأساس الكنيسة ومعلّم المؤمنين «فاجاب يسوع وقال له : طوبى لك يا سمعان بن يونا فانه ليس لحمٌ ولا دمٌ كشف لك هذا لكن أبي الذي في السماوات» (متى ١٦ : ١٧) فبإذا جازى يسوع بطرس لقاء اعترافه بألوهيته • فلنسمع المسيح يتكلَّم بسلطانه الالهي ويقول باحتفال لبطرس بمرأى ومسمع من جميع الرسل «وأنا اقول لك : انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وأبواب

الجحيم لن تقوى عليها» (متى ١٦ : ١٨) يقول المسيح: انا ابن الله أعدك باني سأجعلك نائبي على الارض واساس كنيستي ولا احد يقوى على نقض وعدي هذا. ومعلوم ان الكنيسة هي بناء أدبيّ اي جمعية منظورة ولا تقوم الجمعية ولا تثبت ما لم يكن لها رأس منظور يدبّرها وسلطة تضمّ اعضاءها في الوحدة. ومن ثم فكما ان البناء المادّي لا يكون ثابتاً ما لم يقُم على اساس متين كذلك كنيسة المسيح التي هي جمعية بشرية روحية تحتاج بعد صعود منشئها الى السماء الى اساس تقوم عليه. فيؤكد يسوع ان الاساس هو بطرس. ويلزمها ايضاً سلطة تسوسها وتدبّرها وتُجري فيها القضاء. فهذه السلطة هي سلطة بطرس. ولهذا قال له يسوع «وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات. فكلُّ ما ربطتهُ على الارض يكون مربوطاً في السماوات وكلّ ما حللتهُ على الارض يكون محلولًا في السماوات» (متى ١٦: ١٩). فكما انه اذا سلّم صاحب الامر والنهي مفاتيح المدينة لشخصٍ ما يُسلّمه المدينة بأسرها ويجعلها تحت سلطانه كذلك اذ سلّم المسيح مفاتيح كنيسته لبطرس جعلهُ رئيساً مطلقاً عليها وفوّض اليه كمال السلطان على ان يحلّ ويربط اي ان يسنّ شرائع ويُلزم المرؤوسين بحفظها ويعاقب من لا يحفظها وان يصنع كل ما يؤول الى فائدة الكنيسة بحسب اختلاف الازمنة على ما يرتئيه. لانّ المسيح بهذا الاطلاق وهذا التعميم «كلّ ما ربطته. كل ما حللته» اراد ان يفوّض الى بطرس مُطلَق الامر والنهي في كنيسته ويجعله صاحب الحلّ والعقد بحيث يكون ليس فقط جميع المؤمنين بل سائر الاساقفة في الدنيا قاطبةً تحت يده حتى بقيَّة الرسل انفسهم

ولا يقدح برئاسة بطرس وسلطتهِ ما قاله له المسيح بُعيد ذلك: «اذهب خلفي يا شيطان» لانّ لفظة الشيطان في هذا الموضع لا يراد بها ابليس بل المُقاوم. تؤيّد هذا المعنى قرائنُ الكلام. فانه لمّا تنبأ المسيح عن آلامه «أخذه بطرس نحوه وبدأ يزجره قائلًا: حاشى لك يا ربّ لا يكون لك هذا» (متى ١٦ : ٢٢) وكان قول بطرس هذا صادراً عن فرط محبته ليسوع. لكنه بما ان محبتهُ هذه كانت بشرية استحقّ توبيخ الربّ فقال له يسوع: «اذهب خلفي يا شيطان فقد صرتَ لي شكّاً لانك لا تفطن لما لله لكن لما للناس» (متى ١٦ : ٢٣). فلا منافاة اذاً بين هذا القول وقول السيّد المسيح سابقاً انهُ سيقلّدهُ السلطان الاوّل في الكنيسة

ولا يقدح ايضاً برئاسة بطرس وسلطته المطلقة انهُ ضعُف عزمهُ في الآلام وانكر انه يعرف يسوع . فانهُ خطئ بدون ريب لأنهُ نكر ربّهُ بلسانهِ ولكن لم يرتب به في الباطن . يؤيّد قولنا هذا ان المسيح بعد ان تنبأ للتلاميذ انهم سيتركونهُ قال لبطرس : «سمعان سمعان هوذا الشيطان سأل ان يغربلكم مثل الحنطة . لكنّي صلّيت من اجلك لئلّا ينقص ايمانك وانت متى رجعتَ فثبّت اخوتك» (لوقا ٢٢ : ٣١و٣٢) فاذا كان المسيح نفسه قد صلّى لاجل ايمان بطرس خاصةً فمن المحال ان لا يُستجاب في صلاته وبالتالي من المحال ايضاً ان لا يكون بطرس وخلفاؤهُ معصومين من كلّ غلط في الامور المتعلّقة بالايمان والّا فكيف يمكنهم تثبيت المؤمنين على الحقّ ان لم يكونوا ثابتين عليه . ومن الظاهر ظهور الشمس ان الذي يأمره الله بتثبيت غيره في الحقّ لا يستطيع إنفاذ هذه الوصية الالهية الّا ان يكون هو ثابتاً فيه ثباتاً لازماً لا يتزعزع وذلك بما يمنحه الله من المعونة والعضد بما انّه نائبهُ على الارض ويعلّم باسمهِ

ولكن لماذا يا تُرى سمح الله بسقوط بطرس ؟ . ان الله سمح بذلك لغايات اوّلها ان يتعلم بطرس الاتضاع في الرئاسة وعدم الثقة بقدرتهِ الذاتية بل يتكل على نعمتهِ تعالى كما علّم المسيح الرسل اذ قال لهم : «بدوني لا تستطيعون ان تعملوا شيئاً» (يوحنا ١٥ : ٥) . ثانياً اراد يسوع ان يتعلم بطرس بالفعل والاختبار ان يكون كمعلّمهِ رحوماً نحو الخطأة . كان سأل بطرس المسيح سابقاً «يا ربّ كم مرّةً يخطأ اليَّ اخي فأغفر له أإلى سبع مرات . فقال له يسوع : لا اقول لك الى سبع مرات بل الى سبعين مرة سبع مرات» (متى ١٨ : ٢١و٢٢) . فسقوطهُ علّمه بالتجربة الرحمة والمغفرة . حسبما قال بولس الرسول عن المسيح (عبرانيين ٤ : ١٥) «انّ الحبر الذي لنا ليس ممّن لا يستطيع ان يرثي لأمراضنا بل قد جُرّب في كلّ شيء مثلنا ما خلا الخطيئة» امّا بطرس فقد جُرّب وسمح الله بسقوطهِ في التجربة ليعرف ان يرثي للخطأة

بطرس بعد قيامة المسيح

علينا الآن ان نشاهد بطرس بعد قيامة المسيح لنتحقق ان يسوع عامله كرئيس على الرسل حتى بعد خطيئتهِ وأنّ تصرّف بطرس كان كمن له السلطة بينهم

نشاهد بطرس يندم ندامةً شديدة على خطيئته «بكى بكاءً مُرّاً» (متى ٢٦ : ٧٥) ومرقس ١٤ : ٧٢ ولوقا ٢٢ : ٦٢) فقبل يسوع ندامته وغفر له وبيّن لهُ ذلك اذ

تراءى له على انفراد بعد القيامة قبل جميع الرسل والتلاميذ ليعزّيهُ في حزنه وبكائه كما ورد في لوقا وهم يقولون لقد قام الرب في الحقيقة وتراءى لسمعان» (لوقا ٢٤: ٣٤) «وتراءى لكيفا ثم للاحد عشر» (١ كورنتس ١٥: ٥). فلماذا تراءى لكيفا اي لبطرس خاصةً الّا مراعاة لمقامه بما انه نائبهُ. فاراد السيح ان يؤيد سلطته حالاً بعد القيامة ويزيل ما ربَّما خامر عقول التلاميذ من سقوطه

الملاك في القبر وبطرس . التلاميذ وبطرس

وممَّا يحسن الاشارة اليه هو ان الملائكة انفسهم بنوع تكلمهم مع النسوة بيَّنوا تقدُّم سمعان بطرس بين التلاميذ ورئاستهُ عليهم. والدليل على ذلك هو انه لما ذهبت النساء يوم قيامة السيد المسيح الى القبر ودخلنهُ ولم يجدن جسد القدس بل رأين شاباً اي ملاكاً بهيئة شابٍ فاوصاهنَّ هذا الملاك ان يبلّغن للتلاميذ ولبطرس ان الربَّ قد قام «فاذهبن وقلن لتلاميذهِ ولبطرس انه يسبقكم الى الجليل وهناك ترونهُ كما قال لكم» (مرقس ١٦: ٧). فتسأل ما سبب تخصيص الملاك بطرس. أليس لعلمه ان بطرس كان الرئيس في جماعة التلاميذ وانَّه حان الوقت لهذا الرئيس ان يعمل بمقتضى وظيفته

ثم انَّ التلاميذ بتصرفهم يعترفون برئاسة بطرس. فهذه مريم المجدلية اذ لم تجد جسد الرب في القبر تُسرع وتُخبر بطرس «فاسرعت وجاءت الى سمعان بطرس» (يوحنا ٢٠: ٢) فلماذا تُسرع الى بطرس مع علمها بانهُ انكر الربَّ في الآلام الّا لعلمها بانهُ الرئيس. ثم انَّ سلطة بطرس ورئاسته كانت تتطلب ان يبادر الى القبر ويبحث عمّا حدث وهكذا فعل «فخرج بطرس والتلميذ الآخر [يوحنا] واقبلا الى القبر وكانا مُسرعَين معاً. فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء الى القبر اولاً» (يوحنا ٢٠: ٣ و٤). وبما هو جدير بالاعتبار ان يوحنا لم يدخل القبر رغماً عن رغبته في الاطلاع على الحقيقة بل انتظر ان يدخل بطرس قبله بما انه الرئيس واحتراماً لوظيفته «ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر فرأى الاكفان موضوعة ... فحينئذ دخل التلميذ الآخر الذي جاء اولاً الى القبر» (يوحنا ٢٠: ٦-٨). اما لوقا فلم يذكر يوحنا بل اكتفى بذكر بطرس لانه رئيس جماعة الرسل «فقام بطرس واسرع الى القبر» (لوقا ٢٤: ١٢)

ارعَ خرافي ارعَ غنمي

انَّ الامر الذي يبيّن خاصةً رئاسةَ بطرس لا الشرَفية بل الفعلية التي تخوّله السلطة في تدبير الكنيسة هو ما حدث عند ما تراءى يسوع التلاميذ على بحر طبرية ويخبرنا به يوحنا الانجيلي وكان حاضراً . « كان قد اجتمع سمعان بطرس وتوما الذي يُقال له التوأم ونثنائيل الذي من قانا الجليل وابنا زبدى واثنان آخران من تلاميذه . فقال لهم سمعان بطرس : انا ذاهب لاصطاد . فقالوا له : ونحن ايضاً نجيء معك» (يوحنا ٢١ : ٢و٣) . في هذه الآية دليل على انقياد التلاميذ لبطرس . ثم تراءى لهم يسوع على الشاطئ واصطادوا ذلك الصيد العجائبي وعرفوا يسوع وانتهوا الى الشاطئ وكان بطرس سبق الجميع سباحةً لفرط محبته ليسوع . فبعد ان تغدّوا خاطب يسوع سمعان بطرس وقال له : «يا سمعان بن يونا اتحبّني اكثر من هؤلاء» (يوحنا ٢١ : ١٥) وقال له ذلك اول مرة ثم كرّره ثاني مرة وثالث مرة . فلماذا ثلاث مرار ? نجيب ان يسوع اراد ان يمهّد لبطرس السبيل ليجاهر بمحبته له ثلاثاً كما انه كان انكره ثلاثاً . وبهذا الاعتراف وبهذه المجاهرة اعاد يسوع لبطرس شرفه امام التلاميذ بما انه رأس الكنيسة واثبت له الاعتبار اللائق والواجب له امام المؤمنين

اما الامر الاعظم اهمية هو ان السيّد المسيح في هذا المقام قلّد القديس بطرس نهائياً ما كان وعدهُ به من الرئاسة العامة على كنيسته بأسرها . فانه بهذا الخطاب « ارعَ خرافي ارعَ غنمي » اختصه دون سائر التلاميذ وناداهُ باسمه قائلاً ثلاث مرار يا سمعان بن يونا اتحبّني اكثر من هؤلاء وامرهُ قائلاً : ارعَ خرافي اي تولَّ امرهم وكن رئيساً عليهم . ولا يخفى انَّ الرعاية في ما يختصّ بالبشر لا تستعمل الَّا في معنى الرئاسة كما ورد في متى (٢ : ٦) « المدبّر الذي يرعى شعبي اسرائيل » ومن ذلك قول السيّد المسيح : «انا الراعي الصالح» (يوحنا ١٠ : ١١) فعبّر عن رئاسته على الكنيسة بلفظ الراعي . ومثلهُ قول هامة الرسل «رجعتم الآن الى الراعي الى اسقف نفوسكم » (١ بطرس ٢ : ٢٥) . ثم انَّ قول المسيح ارعَ خرافي ارعَ غنمي يعني الخراف والغنم المختصة به تعالى ومعلومٌ انَّ المراد بخراف المسيح وغنمه جمهور المؤمنين باسرهم فيُراد بالخراف التي هي اولاد الضأن المرؤوسون من عامة الشعب وبالغنم التي هي الامهات الرؤساء من الاساقفة وغيرهم . فاتضح من ذلك كله ان السيّد المسيح قد اقام القديس

بطرس رئيساً عاماً على الكنيسة كافةً وفوّض اليه رعاية كل مرؤوس ورئيس في الكنيسة على الاطلاق لكي يرعاهم اي يسوسهم في كل ما يتعلّق بالامور الدينية الآئلة الى خلاص النفوس والسعادة الابدية اي الايمان والأعمال الصالحة

رئاسة القديس بطرس

٢ في سفر اعمال الرسل

بقي علينا ان نبحث عن تصرّف بطرس بعد صعود المسيح الى السماء. أكانَ تصرُّفَ رسولٍ مماثل لسائر الرسل ام تصرّف رئيسٍ له ملء السلطة في الكنيسة

يذكر لوقا في بدء سفر الاعمال (١ : ١٢و١٣) ان الرسل رجعوا من جبل الزيتون الى اورشليم واقاموا في العلّية . فيسمّي بطرس قبل جميع الرسل كما صنع كلّ الانجيليين وما ذلك الّا بالنظر الى وظيفته وسلطته. ولمّا دخلوا صعدوا الى العلّية التي كانوا مقيمين فيها بطرس ويعقوب ويوحنا الخ . ثم نرى بطرس يبتدئ باستعمال وظيفته فيرأس انتخاب مَن يقوم مكان يهوذا الاسخريوطي . وفي تلك الايّام قام بطرس في وسط الاخوة وكان عدد الاسماء جميعاً نحو مئة وعشرين . (اعمال ١ : ١٥) وخطب في الجماعة موضحاً لهم الصفات المرغوبة في من ينتخبونه . ثم انّه في عيد العنصرة اذ حلّ الروح القدس على التلاميذ واجتمع جمهور اليهود حول العلّية نُشاهدُ القديس بطرس قائماً امام الشعب يخطب فيهم ويشرح لهم آيات الكتاب المقدس التي تشير الى حلول الروح القدس وفيضان النعم ويبكّتهم بجرأة على انهم صلبوا المسيح وقتلوه بأيدي الأثمة . فقام بطرس مع الاحد عشر ورفع صوته وخاطبهم قائلاً : ايها الرجال اليهود . . . . (اعمال ٢ : ١٤) . فلمّا سمعوا نُخسوا في قلوبهم وقالوا لبطرس ولسائر الرسل : ماذا نصنع ايها الرجال الاخوة . فقال لهم بطرس : توبوا وليعتمد كل واحد منكم . . . . (اعمال ٢ : ٣٧و٣٨) فترى من كل ما ذكرنا ان بطرس يتصرّف كمن له المقام الاول والرئاسة والسلطة

الآيات التي صنعها بطرس وخطابهُ في الهيكل ثمَّ امام المحفل

ولكي يرفع الله مقام بطرس امام جماعة المؤمنين وليؤيد سلطته ويوضح رئاستهُ اراد ان تجري على يده المعجزات الباهرة . فقد قال الكتاب (اعمال ٥ : ١٢) اجالا

عن جميعهم انه « جرت على ايدي الرسل آيات وعجائب كثيرة في الشعب » . الّا ان الكتاب ضرب صفحاً عمّا صنعه سائر الرسل ولم يذكر من هذه الآيات والعجائب التي تمت في الأيام الاولى من الكنيسة الّا ما جرى على يد بطرس رغبة منهُ في ان يبيّن ما كان له من الرئاسة والسلطة ويوصي بالاعتبار الواجب له . فمن هذه الآيات شفاء المخلّع اينياس المضطجع على فراش الاوجاع في لُدّة منذ ثماني سنين (اعمال ٩ : ٣٣ و ٣٤) واقامة طابيثا من الموت في يافا (اعمال ٩ : ٤٠) وشفاء المرضى بظلّ بطرس « ان الناس كانوا يخرجون بالمرضى الى الشوارع ويضعونهم على فُرش واسرَّة ليقع ولو ظلُّ بطرس عند اجتيازه على بعض منهم فيبرأوا من كل علة بهم » (اعمال ٥ : ١٥) . كان المرضى اذا لمسوا ثوب المسيح يبرأون من امراضهم ولكن في هذا الموضع نرى ان ظلّ بطرس كان يشفي المرضى وذلك بالقوّة التي اعطاه اياها المسيح . وقد روى كتاب الاعمال وقصَّ بالتفصيل ما جرى للرجل الذي كان اعرج من بطن امه فشفاه بطرس عند باب الهيكل الحسن في وقت صلاة الساعة التاسعة حيث كان يجتمع الشعب للصلاة « فتفرَّس فيه بطرس مع يوحنا وقال : انظر الينا . . . فقال بطرس : ليس لي فضة ولا ذهب ولكني اعطيك ما عندي ، باسم يسوع المسيح الناصري قُم وامش » (اعمال ٣ : ٤ و ٦) . ثم خطب بطرس مرة ثانية مبيّناً لليهود ان يسوع هو المسيح وان الله اقامهُ من الموت وحرّضهم قائلاً : « توبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم » (اعمال ٣ : ١٩) . وخطب ايضاً مرة ثالثة وجاهر وقوة كن يتكلم بسلطة امام محفل اليهود حيث اجتمع « رؤساؤهم والشيوخ والكتبة وحنان رئيس الكهنة وقيافا ويوحنا والاسكندر وجميع الذين كانوا من عشيرة رؤساء الكهنة » (اعمال ٤ : ٥ و ٦) . فلماذا لا ننظر الّا بطرس ولا نسمع الّا بطرس ولا نرى احداً يدافع عن الحقّ الّا بطرس ؟ أليس ان ذلكَ دليل على رئاسته وسلطته ؟ ولمّا تهدّد رئيس الكهنة الرسل وامرهم ان لا يعلّموا باسم يسوع « أجاب بطرس والرسل وقالوا : ان الله احقّ من الناس بأن يُطاع » (اعمال ٥ : ٢٩) فترى ان الكتاب يخصّص دائماً بطرس بين سائر الرسل فلا يمكن تعليل ذلك الا بكونه رئيساً على الكنيسة جمعاء . بطرس وتأديب حننيا وسفيرة

ومما يؤيّد رئاسة بطرس وسلطته في الكنيسة ما اخبر به سفر اعمال الرسل (٥ : ١ — ١١) عن التأديب الذي اجراه والقصاص الصارم الذي عاقب به حننيا وسفيرة

امرأته وذلك ان المؤمنين « الذين كانوا يملكون ضياعاً او بيوتاً كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويُلقونها عند اقدام الرسل فيوزَّع لكلّ واحدٍ على حسب احتياجه » (اعمال ٤ : ٣٤ و٣٥) :

«وإنّ رجلًا اسمهُ حننيا مع سفيرة امرأته باع ملكاً له واختلس بعض الثمن وامرأته تعلم بذلك وأتى ببعضهِ وألقاهُ عند أقدام الرسل. فقال بطرس: يا حننيا لماذا ملأ الشيطان قلبك حتى تكذب على الروح القدس وتختلس من ثمن الضيعة . ألم يكن لك مدّة بقائهِ وبعد أن بيع ألم يكن في سلطانك فلماذا جعلتَ في قلبك هذا الأمر . إنك لم تكذب على الناس بل على الله . فلما سمع حننيا هذا الكلام سقط ومات فوقع خوفٌ عظيمٌ على جميع الذين سمعوا بذلك . فقام الفتيان وكفّنوهُ وحملوهُ ودفنوهُ . وبعد مدّة نحو ثلاث ساعاتٍ دخلت امرأتهُ وهي لم تعلم بما جرى . فأجابها بطرس قولي لي أبهذا الثمن بعتما الضيعة . فقالت: نعم بهذا . فقال لها بطرس: ما بالكما اتّفقتما على تجربة روح الربّ ها إنّ أقدام الذين دفنوا رجلكِ بالباب وهم يحملونكِ . فسقطت في الحال عند قدميهِ وماتت فلما دخل الأحداث وجدوها ميتةً فحملوها ودفنوها بجانب رجلها . فوقع خوفٌ عظيمٌ على جميع الكنيسة وعلى كلّ الذين سمعوا بذلك »

ان الله سبحانه وتعالى اراد بهذه العقوبة السريعة الهائلة التي تمّت على يد بطرس إلقاء الهيبة في نفوس الناس وحملهم على الخضوع لرؤسائهم وخاصة لبطرس هامة الرسل ورأس الكنيسة (١

تبشير بطرس الامم الوثنية

بما انّ بطرس هو رأس الكنيسة قد شاء الله ان يكون هو اوّل من يبشّر الامم الوثنية وبقبولهم في جمعية المؤمنين كما حدث في ارتداد قائد المئة كرنيليوس في قيصرية فلسطين فانّ هذا الرجل « كان تقيّاً يخشى الله هو وجميع اهل بيته ويُعطي الشعب صدقاتٍ كثيرة ويصلّي الى الله في كل حين » (اعمال ١٠ : ٢) . فتراءى له ملاك الله وقال له : «أرسل الآن رجالًا الى يافا واستحضر سمعان الملقّب بطرس» . وفي اثناء ذلك اعلن الله لبطرس بالرؤيا ان لا يتردّد في قبول مثل هؤلاء في الكنيسة . فذهب بطرس الى قيصرية فلسطين حيث كان يقيم كرنيليوس ووعظه هو وجميع اهل بيته وبينما هو يكلّمهم عن السيد المسيح حلّ عليهم الروح القدس » حينئذٍ اجاب بطرس

(١) انما استحق حننيا هذا العقاب المخيف لانهُ فضلًا عمّا استعمله من الكذب والاحتيال نقض عهدهُ لله تعالى الذي ألزم نفسهُ به وكانت له الحرّية ان لا ينذرهُ ويُبقي الملك او ثمنهُ في سلطانه (اعمال ٥ : ٤)

ألعلّ احداً يستطيع ان يمنع الماء فلا يعتمد هولاء الذين نالوا الروح القدس مثلنا . ثم أمر ان يعتمدوا باسم الرب » (اعمال ١٠: ٤٧و٤٨) فهكذا كان تبشير الامم الوثنية اولًا على يد بطرس رئيس الكنيسة وذلك بتدبير خصوصي من الله لكي يكون نائب الراعي الصالح هو الذي يفتح قبل الكلّ باب الحظيرة المقدسة لهذه الخراف الضالّة . وقد اشار الى ذلك بطرس في المجمع الاورشليمي اذ قال (اعمال ١٥: ٧): «ايّها الرجال الاخوة إنّكم تعلمون أنه من الأيام الاولى اختار الله من بيننا أنّ الامم من فمي يسمعون كلمة الانجيل فيؤمنون »

اما ما ورد في سفر اعمال الرسل (٨: ١٤) وهو « لما سمع الرسل الذين في اورشليم ان اهل السامرة قد قبلوا كلمة الله ارسلوا اليهم بطرس ويوحنا » فلا يُستنتج منه شيءٌ ضدّ رئاسة بطرس في الكنيسة . لانه لم يُرسَل بطرس كمرؤوس يُعطَى الاوامر بل كرئيس يُطلب اليه ان يتوجّه الى السامرة لما له من النفوذ والاعتبار وخاصةً لانّ توطيد الايمان في قلوب اهل السامرة كان له شأنٌ عظيم لانّهم اوّل أُمّة قبلت ايمان المسيح خارج اليهودية وكان ارتدادها توطئة لارتداد الامم الوثنية . فرأى التلاميذ انه يليق ان يذهب اليهم من كان رأس الكنيسة وله المقام الاوّل فيها والسلطة التامّة

بطرس في السجن

ثم اننا مما يخبره لوقا عن سجن بطرس نتحقق عظم شأنهِ واعتبارهِ لدى جماعة المؤمنين وانه كان الرئيس في الكنيسة . فعند ما تكلّم لوقا عن اضطهاد هيرودس الكنيسة وقتلهِ يعقوب الرسول اكتفى بهذه العبارة « وقتل يعقوب اخا يوحنا بالسيف » (اعمال ١٢: ٢) امّا لدى كلامهِ عن سَجن بطرس وحفظهِ للقتل فيُرينا لوقا الكنيسة جماعةً مهتمّة لنجاته وحفظ حياته الثمينة تتضرّع الى الله بصلوات حارّة : « فكان بطرس محفوظاً في السجن وكانت الكنيسة تصلّي الى الله من اجلهِ بلا انقطاع » (اعمال ١٢: ٥) . وما سبب هذه الصلوات المتواصلة الّا رئاسة بطرس في الكنيسة . وقد استجاب الله توسّلات الكنيسة لحفظ حياة رئيسها ففي ليلة اليوم الذي كان عزم فيه هيرودس على قتلهِ ارسل الله ملاكهُ ونجّى نائبهُ . فشكر بطرس الله وقال : « الآن علمتُ

يقيناً ان الربّ قد ارسل ملاكهُ وانقذني من يد هيرودس ومن كلّ ما ترقّبهُ لي شعب اليهود» (اعمال ١٢: ١١)

بطرس ومجمع الرسل في اورشليم

ولدينا على رئاسة بطرس برهان آخر من المجمع الاول الذي التأم فيه الرسل للبحث عن مسألة الختان وسُنَن موسى. فأن بطرس هو الذي ترأس المجمع بصفته رئيس للكنيسة فعرض المسألة وشرحها وبيّن بالبراهين ما الذي يلزم ان يُقرَّر فيها وجزم في الامر كما يتضح من سفر الاعمال «واذ جرت مباحثة كثيرة قام بطرس وقال لهم: ايها الاخوة ... لِمَ تجرّبون الله لتضعوا على رقاب التلاميذ نيراً لم يستطع آباؤنا ولا نحن ان نحمله. ولكن بنعمة الربّ يسوع نؤمن ان نخلص نحن مثل اولئك. فسكتت الجماعة كلّها» (١٥: ٧-١٢). ثم تكلّم يعقوب وبيّن انه موافق لرأي بطرس قائلاً: «قد شرح سمعان كيف افتقد الله الامم منذ الاوّل ليتخذ منهم شعباً لاسمه الخ» (اعمال ١٥: ١٤) (١

ويحسن بنا قبل الختام ان نشير الى ما صنعهُ بولس الرسول بعد ارتداده الى الرب وقد اخبرنا به هو نفسه في رسالته الى اهل غلاطية (١: ١٥-١٩) قال: «لمّا ارتضى الله الذي فرزني مُنذُ كنتُ في جوف امّي ودعاني بنعمته ان يعلن ابنهُ فيَّ لأُبشّر بهِ بين الامم لساعتي لم أُصغِ الى اللحم والدم ولا انطلقتُ الى اورشليم الى الذين هم رُسل قبلي بل سرتُ الى ديار العرب وبعد ذلك رجعتُ الى دمشق ثم إنّي بعد ثلاث سنين انطلقت الى اورشليم لأزور بطرس فأقمت عنده خمسة عشر يوماً ولم أرَ غيرهِ من الرسل سوى يعقوب اخي الربّ». ان يعقوب هذا كان اسقف اورشليم. فما سبب تخصيص بطرس بالزيارة دون سائر الرسل والاقامة عنده خمسة عشر يوماً الّا لانّ بولس الرسول كان يعتبر بطرس رئيساً مُقاماً من السيّد المسيح على الكنيسة جمعاء. فكان

١) لا يخفى ان بطرس لِما لهُ من السلطة في الكنيسة انشأ الكراسي الثلاثة المشهورة بين جميع الكراسي الاسقفية في العالم المسيحي اي كراسي رومية وانطاكية والاسكندرية. فبعد ان اسس كرسي انطاكية باقامته مدة سبع سنوات في تلك المدينة انتقل الى قاعدة مملكة الرومانيين وأسس كرسي رومية كما تعدّدت الشواهد على ذلك. ومن هناك ارسل تلميذه مرقس فأسس كرسي الاسكندرية. ومن ثم فالبطريركيات الممتازة في الكنيسة تنتسب الى بطرس هامة الرسل

لا بدّ له من زيارته ومخابرته في امور الكنيسة ونشر الايمان والتبشير بيسوع المسيح

ولا يُنقِص شيئاً من سلطة القديس بطرس ولا يضرّها مقاومةُ بولس الرسول له في حادث خصوصيّ أوردَ خبرهُ في رسالتهِ الى اهل غلاطية (٢ : ١١) قال: «لما قَدِم كيفا الى انطاكية قاومتهُ مواجهةً لانه كان ملوماً». وذلك ان بطرس «قبل قدوم قومٍ من عند يعقوب كان يأكل مع الامم فلما قدموا تنحى واعتزل مخافةً من اهل الختان وتظاهر معهُ سائر اليهود حتى ان برنابا ايضاً انجذب الى تظاهرهم» (غلاطية ٢: ١٢و١٣) . فتنحّي بطرس واعتزالهُ الاكل مع المتنصّرين من الامم انما كان لئلّا يشكّك المتنصّرين من اليهود لان اليهود لم يكونوا يوآكلون الامم كما يُستفاد من سفر الاعمال (١١ : ٢و٣) اذ ذهب بطرس الى قيصرية بإلهام من الله لما استدعاه قائد المائة كرنيليوس بإيعاز الملاك. فان الذين من اهل الختان استغربوا دخول بطرس على رجال قُلف والاكل معهم. فخشي بولس من ان يظنّ المتنصّرون من الامم انهم ملتزمون بحفظ شريعة موسى فلذلك قاوم بطرس . الا ان الشيء الذي قال بولس ان بطرس كان ملوماً فيه لم يكن شيئاً متعلقاً بالايمان ولا بالآداب ولا بالتدابير العمومية ولا بالسلطة العامة ولا بالعصمة . انما كان امرًا خصوصيًا لم يرهُ بولس مناسباً في تلك الظروف . فلما ظهر لبطرس ان بولس كان مُحقًا انقاد لرأيهِ شأن الرئيس الحكيم وكما ينقاد الملك الى رأي وزيره في اجراء بعض التدابير اذا رآه صواباً

وقد لاحظ بعض العلماء ان ما صنعه بولس ليس فقط لا يُضعف سلطة بطرس بل بالعكس يؤيّدها ويثبتها . لانه لو كان غير بطرس اعتزل مؤاكلة المتنصّرين من الامم لما كان بولس اكترث لهذا الامر لكن لانّ بطرس كان رئيس الكنيسة كان مثله مؤثرًا جدًا في جماعة المتنصّرين من اليهود والتلاميذ يدفعهم على الاقتداء به كما حدث بالفعل إذ ان سائر اليهود حتى برنابا تظاهروا مع بطرس . وهذا ما خشيهُ بولس ودفعهُ الى مقاومتهِ

ويعلم القرّاء ان بولس الرسول نفسه تصرّف احياناً كما تصرّف بطرس . فانه لما اراد ان يأخذ معهُ تيموثاوس رفيقاً في الرسالة لم يحجم عن ان يختنه مراعاةً لخاطر اليهود ولئلّا يشككهم . وقد ذكر ذلك سفر الاعمال (١٦ : ١–٣) اذ قال عن بولس « وقدم الى دربة ولسترة واذا بتلميذ هناك اسمه تيموثاوس ابن امرأة يهودية مؤمنة

لكنَّ اباه يونانيّ وكان مشهوراً له من الاخوة الذين في لسترة وايقونية فاراد ان ينطلق هذا معهُ فاخذهُ وختنه من اجل اليهود الذين في هذه الامكنة لان جميعهم كانوا يعرفون ان اباه كان يونانيًّا ».

الختام

ها انّنا روينا ما ورد عن القديس بطرس في الاناجيل المقدَّسة وفي سفر اعمال الرسل . فنسأل القارئ اللبيب لو افترضنا ان جميع ذلك ورد وقيل لا عن القديس بطرس لكن عن احد رفقائه الرُسل كالقديس فيلبس مثلاً أليس ان القارئ كان استنتج ان فيلبس هو الرئيس على الرسل . والحال ان جميع ما روينا قيل عن بطرس لا عن غيره من الرسل . فيُستنتج طبعاً وضرورةً انه هو الرئيس اذ لا بدَّ من رئيس في جماعة منظَّمة سوف تنتشر في العالم اجمع

فمن كل ما سبق يتضح لكلّ ذي بصيرة وعقل سليم وقلب مستقيم ان السيّد المسيح اختار بطرس الرسول واقامه نائباً له على الارض وأساساً للكنيسة ورأسها المنظور وراعي جميع المؤمنين وقلّده السلطة المطلقة . وان القديس بطرس بعد صعود الرب الى السماء تصرَّف تصرُّف رئيس . وانّ جميع المؤمنين شرقاً وغرباً منذ نشأة الكنيسة اعتبروا القديس بطرس رئيسها الشرعي وانقادوا لطاعته عملاً بمشيئة يسوع المسيح لابسه السجود وحسبوا خلفاءهُ على الكرسي الروماني وارثين لسلطته كما يتضح من تاريخ الكنيسة ومن اقوال الآباء ومن تحديدات المجامع وكما يقضي به العقل السليم الذي يحكم بان كلّ جماعة منظورة لا تقوم الّا برأس منظور

معجزة فلكية حديثة

بقلم حضرة الاب رفائيل نخله اليسوعي

رغماً من الاكتشافات الفلكيَّة العجيبة المتتابعة عاماً فعاماً بل شهراً فشهراً من غرَّة الجيل التاسع عشر الى يومنا هذا لم يهتدِ حتى الآونة الاخيرة احدُ ائمة علم الهيئة الى طريقةٍ لقياس حَجم الكواكب مباشرةً . وما سبب وعورة ذلك المشكل سوى

بُعْد النجوم الهائل فانّ اقربها الينا لو فرضنا انه بحجم الشمس لظهر لاعيننا ظهور كُرَيّة طول قطرها سنتيمتر واحد نشاهدها على مسافة خمسمائة كيلومتر منا !

فما اطول باع العلّامة الاميركي النحرير الاستاذ ميكلسون المدرّس في كلية شيكاغو وما اسمى قدرته العقلية حيث استطاع حلّ تلك العقدة التي ما زال جهابذة الفلكيين يعالجونها في الجيل المنصرم على اساليب شتى فذهبت مساعيهم ادراج الرياح

وما يزيد فضل الاستاذ المشار اليه ويرفع قيمة اكتشافه أنّ قوله مستندٌ الى اثبت مبادئ علم النور فاصبح الاستاذ ميكلسون من اعظم جهابذته في الخافقين . وحيث لا يسمح ضيق المقام ومشاكل البحث بعرض تلك المبادئ على اسلوب علمي لا يترك مجالًا للشك والغموض فخصّنا وصف طريقة ميكلسون على نمط موجز قريب المنال

اذا ارتسمتْ صورة نجمٍ ما في مرقب ظهرت على شكل نقطة ساطعة مُحاطة بدوائر دكناء فبيضاء تناوباً نضرب صفحاً عن سبب تكوّنها . هذا ما نراه اذا كانت عدسيّة المرقب المواجهة للنجم مكشوفةً لاقبال نوره . لكن اذا غطّيناها بصفيحة معدنيّة ذات ثقبَيْن ضئيلين متوازيين شاهدنا في مستوقد النظارة بدلاً من صورة النجم الوحيدة السابق وصفها صورتَيْن مثلها تظهران من الثقبين . وقد برهن الاستاذ ميكلسون بالحساب فضلًا عن الاختبارات العديدة أنّه اذا وُجدت نسبة معلومة بين بَون الثقبين وقُطر النجم المرقوب ارتسمت احدى الصورتين على الاخرى بحيث تزول الدوائر الدكناء والبيضاء المتلاحقة فيها . وسبب ذلك الزوال ان الدوائر الدكناء في احداهما تغطي الدوائر البيضاء في الاخرى والعكس بالعكس . فيكفي اذا من الوجهة العمليّة إبعاد احد الثقبين من الآخر الى ان تغيب الدوائر . فيمكن حينئذٍ قياس البَون الفاصل بينهما ويُقاس ذلك على فرض قياس بُعد النجم عنا بمعرفة مقدار انفراج الزاوية التي ضلعاها شعاعان من عين المرقب الى طرفي قُطر الكوكب المرقوب . فلا شيءَ اسهل بعد كل ذلك من اجراء حساب بسيط يوقفنا على طول ذلك القطر ثم على مساحة سطح النجم واخيراً على حجمه . تلك هي على جناح السرعة التفاصيل الجوهرية لطريقة ميكلسون . ويلوح لكل ذي عينين انها سهلة المسلك رغماً من وعورة المشكل الذي وُضعت لحلّه . فسبحان من قدّر العقل البشري على ادراك ابعد الغايات باقرب الوسائل واهونها !

كان اول تطبيق الاستاذ الاميركي الشهير لطريقته في مرصد مونت ولسُن

(Mount Wilson) وفيه اكبرُ نظّارة في العالم قُطرُ مرآتها بطول مترين ونصف!
(راجع الشرق ص ٢٩٩)

واول نجم قيس قُطره على هذا الاسلوب هو المعروف عند العرب باسم إبط الجوزاء (Bételgeuse) وقد اخذه الافرنج عنهم في جملة ما اخذوه من المعلومات الفلكية. والجوزاء هي من اسطع ما نراه من الكوكبات. كثيرًا ما ادمجها شعراؤنا في تشابيهم واستعاراتهم اللبقة المستظرفة. مثال ذلك ما ورد في مطلع قصيدة لخليل بك مطران الشاعر الذائع الصيت في سورية ومصر:

كانوا ثمانيةً من النُّدماء شبه القطب كانجم الجوزاء
في مجلسٍ حجبَ الشبابُ باسرهِم ابوابَهُ الّا على السرّاء

إبط الجوزاء هو النجم الواقع في شمال هذه الكوكبة فهو ادنى نجومها الى النجمة القطبية. وقد اهتدى الفلكيون الى قياس بُعده عن الارض فوجدوه زهاء مائة وخمسين سنة نور. وقد سبق لنا ايضاح ذلك التعبير الجاري الاستعمال في علم الهيئة فقلنا انهُ عبارة موجزة عن المسافة التي يطويها النور في ظرف سنة بسرعتهِ البالغة ثلاثمائة الف كيلومتر في الثانية. فبناء على ذلك نرى ان شعاع إبط الجوزاء الواصل الآن الى مقلتنا قد انطلق من ذلك النجم الرائع البُعد منذ مائة وخمسين عامًا نعني قبل ولادة جدّ جدنا في الغالب ولم يزل منذ ذلك الوقت ينهب خلوات الرقيع بسرعة البرق حتى وافانا بعد شوط الذي تعجز اقدرُ مخيلة عن مجرد تصورهِ.

قاس الفلكيون بُعد ابط الجوزاء. وهي لعمري معجزة كافية لتخليد مجدهم في تاريخ البشر ولكنهم لم يتوصلوا قبل الاستاذ ميكلسون الى قياس حجم ذلك الكوكب الساطع في اقاصي الجلد. فقد طالما عالجوا ذلك الشكل الغامض وحاولوا حلّه بكل ما دار في خلدهم من الطرق المتنوعة فذهبت كل افكارهم هباء منثورًا وكانوا كمن يضرب على حديد بارد. ولا بدع ان لم يكن لهم قِبلٌ بحلّ تلك العقدة فهل من سبيل الى قياس قُطر نجم يبعد عنَّا نحو عشرة ملايين اضعاف بُعد الشمس الواصل الينا ضياؤها في ثماني دقائق ليس الّا؟

أجل يوجد الآن سبيل الى ذلك الامر المستحيل بالامس بل هو طريق رحبة ممهدة هيّنة نهجها وسلكها مرة اولى في صيف السنة ١٩٢٠ نابغة علم النور الاستاذ

ميكلسون فاحرز باكتشافهِ البديع النادر المثال مجداً لن يمحوه كرُّ العصور

قاس العلّامة الاميركي قطر ابط الجوزاء على طريقته البسيطة التي لخّصناها فيما سبق (١ فوجده يساوي ثلاثمائة ضعف قطر الشمس وذلك كناية عن اربعمائة وخمسة عشر مليون كيلومتر ! فينتج عن ذلك ان حجم ابط الجوزاء يوازي ٢٧ مليون ضعف حجمَ الشمس فلو نُقلت شمسُنا الى وسط ذلك الكوكب الرائع لضاعت هناك ضياع رملةٍ في كثيب بل لاستطاعت ارضنا ان تبقى في باطن ابط الجوزاء على بعدها المعتاد عن الشمس البالغ نحو مائة وخمسين مليون كيلومتر (راجع الرسم)



المقابلة بين حجم ابط الجوزاء وأفلاك بعض السيّارات الشمسية

(١ عرفنا بها ان انفراج الزاوية التي ضلعاها خطّان متجهان من العين الى طرفي قطر ابط الجوزاء يساوي $\frac{٤٦}{١٠٠٠}$ من الثانية الهندسية وهو يساوي انفراج الزاوية المارّة بطرفي كُرَيّة صغيرة لا يزيد قطرها عن سنتيمتر واحد وهي على مسافة ٤٧ كيلومتراً من العين

ورغمًا من كون زاوية النظر الى قطر ابط الجوزاء شديدة الصغر فهي أكبر من مثلها في بقية الكواكب. ولذلك اجرى ميكلسن طريقته على ذلك النجم قبل غيره

وبما ان حجم الشمس يساوي نحو ١،٢٩٥،٠٠٠ ضعف حجمِ الارض فان ابط الجوزاء يوازي تقريباً ٣٤،٩٦٥،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ضعف حجم ارضنا! ولو جعلنا ذلك النجم على بعد الشمس منّا لوسعت مساحته كل طول سمائنا وعرضه! أفلم يصدق والحالة هذه صاحب المزامير حيث ترنّم بعظمة الاله القدير الذي خلق ملايين من الكواكب الرائعة الكبر بمجرَّد فعل ارادته. فصاح بملء الدهشة يخاطب العليّ (٨ : ١ — ١٠):

«ايها الرب سيدنا ما اعظم اسمك في كل الارض وقد جعلت جلالك فوق السماوات... اني ارى سماواتك عمل اصابعك والقمر والكواكب التي كوّنتها. ما الانسان حتى تذكره وابن البشر حتى تفتقده؟ نقصته عن الملائكة قليلاً وكلّلته بالمجد والكرامة. سلّطته على اعمال يديك واخضعت كل شيء تحت قدميه... ايها الرب سيدنا ما اعظم اسمك في كل الارض!»

المئة الثالثة لتثبيت قداسة

اغناطيوس دي لويولا وفرنسيس كسفاريوس

للاب لويس شيخو اليسوعي

من جملة ما دعا الى الاحتفال به السعيد الذكر البابا بندكتوس الخامس عشر شهرًا قبل وفاته التذكارُ المئوي القريب بتثبيت قداسة بعض اولياء الله الذين اعلن بسموّ فضلهم البابا غريغوريوس الخامس عشر في ١٢ اذار سنة ١٦٢٢ وفي مقدَّمتهم قديسان عظيمان زيَّنا كنيسة الله بمآثرهما السنيَّة تمدحهما الرهبانيَّة اليسوعيَّة كركنَي جماعتها. نريد بهما القديس اغناطيوس دي لويولا منشئها وفرنسيس كسفاريوس اوَّل مرسليها الى الشرق الاقصى

فهذا ما حدا برؤساء رسالتنا الى ان يقيموا في كنيسة كليّتنا مواسم خارقة العادة

للاحتفال بذاك التذكار الجليل خُتمت يوم الاحد في ١٢ آذار المنصرم برتب دينيَّة باهرة بادر الى حضورها عدد وافر من اهل المدينة وكانت الكنيسة مجلَّلة بكسوة اعيادها تنيرها الوف من مصابيح الكهرباء ذات الضياء الساطعة المنظَّمة على اشكال مختلفة محدقةً بمحراب القلب الاقدس وصورة صاحبي العيد وحنايا الهيكل بين اكاليل الزهور وسعف النخل مما يأخذ بمجامع الابصار

ولا عجب باقامة هذه الاعياد في اصقاعنا السوريَّة لقديسين نبغا في الاقطار الغربيَّة · فانَّ لكليهما مآثر استفاد منها الشرق فما كان احرى به ان يُبدي لهما شكرهُ في هذا التذكار المئوي

وبياناً لذلك ها نحن نورد شيئاً من تلك المآثر الجليلة التي حظينا بها بهمَّة هذين النيّرين اللذين سطعا في فلك الكنيسة في اواسط القرن السادس عشر

١ اغناطيوس دي لويولا والشرق

انَّ علاقات القديس اغناطيوس دي لويولا مع الشرق متعدّدة · شُغف بحبّهِ منذ نعومة اظفارهِ اذ كان يعاين في انحاء وطنهِ اسبانية آثاراً جليلة لا تزال تنبئ بعظمة الدول العربيَّة التي بسطت حكمها على قسم كبيرٍ من بلادهِ مدَّة سبعة اجيال

فلمَّا ارتدَّ الى الله في السنة الثلثين من عمرهِ بعد حياتهِ الشريفة في خدمة ملكهِ سنة ١٥٢١ كما بسطنا ذلك في احد اعداد الشرق السابقة (١٩٢١ : ٨٩٥) لتقطع الى العبادة في كهف مَنْرِيزة واخذ يتأمل اسرار حياة سيّدهِ يسوع المسيح فاحسَّ برغبة عظيمة الى مشاهدة الاماكن المقدَّسة التي شرَّفها ابن الله مدَّة الثلث والثلثين السنة التي قضاها على الارض · فلم يدَّخر وسعاً حتَّى حقَّق شوقهُ فعلاً مع ما كان يتخلَّل الاسفار في ذلك الزمان من المخاطر والمشقَّات برّاً وبحراً · الاَّ انَّ تلك الاتعاب لم تثبط عزمهُ بل تجشَّم تلك الرحلة بصفة فقيرٍ يُرزَق بصدقات الناس في طريقهِ ويقاسي بطيب القلب ما يجدهُ من العناء والمتاعب

كان سفرهُ في فصل الصيف من السنة ١٥٢٣ حيث ركب سفينة شراعيَّة في البندقيَّة في ١٤ تموز فبلغ بها الى قبرس ثم ابحر الى يافا فاحتلَّ مرفأها في ٣١ آب سنة ١٥٢٣ بعد ٤٨ يوماً من سفرٍ شاقّ نجا فيهِ من قرصان الجزائر وانواء البحر بل التمسّ

قواهُ المنهوكة لتشفاتهِ السابقة باستنشاقهِ هواء البحر المحيي

قضى اغناطيوس شهرين في فلسطين وحجَّ الى كل مزاراتها المقدَّسة ماشياً مستعطياً وقلبهُ مفعم بشواعر الخشوع والتقى . وكان يودّ ان يبقى هناك وينشئ مذ ذاك الحين في اقطارنا جماعة رسوليَّة تسعى بنشر الايمان لولا ما وجدهُ في طريقهِ من العقبات التي صدَّتهُ عن تحقيق نيَّتهِ فعاد الى اسبانيا مشمولاً بعناية خاصة من الله

مرَّ على اغناطيوس ١٣ سنة بعد رجوعه من القدس الشريف اعدَّهُ الله فيها لانشاء رهبانيَّتهِ التي تمَّ تأليف عشرة اعضائها الاوَّلين في اواسط شهر آب من السنة ١٥٣٧ اذ اجتمعوا في يوم عيد انتقال العذراء الى السماء في كنيسة مونمرتر في باريس فارتبطوا بالنذور الرهبانيَّة الثلثة الفقر الاختياري والعفة وابدلوا نذر الطاعة بنذر آخر وهو السفر الى الاراضي المقدَّسة للتبشير بالايمان . ومنهُ يتَّضح ما كان يستعر في قلب اغناطيوس من الشوق لخدمة بلادنا الشرقيَّة

وقد ثبت اغناطيوس على قصدهِ ونال الرخصة من الحبر الاعظم بولس الثالث بان يذهب ورفقتهُ الى الشرق ليبشر معهم بالسيّد المسيح وسعى بذلك غاية جهدهِ في البندقيَّة الّا انَّ الحرب التي انتشبت بين السلطان سليمان القانوني وجمهوريَّة البنادقة اعترضت دون عزمهِ الى ان أيسوا من اتمام ما نذروهُ لله . فعوَّضوا عن ذلك بما تولَّوهُ من الاعمال الرسوليَّة في كل اعمال ايطالية حتَّى ذاع صيتهم واخذ الاساقفة والملوك يتسابقون في طلب البعض منهم ليرشدوا رعاياهم ويتصدّوا البدع المستحدثة في انحاء بلادهم وما لبث الحبر الاعظم بولس الثالث ان اعلن رسمياً رهبانيَّتهم واثبت قوانينها في ٢٧ ايلول ١٥٤٠

وكان اغناطيوس لا يزال يترصَّد الفُرَص ليفتح لابنائهِ ابواب الشرق ولاسيما الاراضي المقدَّسة وكاد يرى ما يتمنَّاهُ متحققاً في السنة ١٥٥٣ . فانَّ زعيم فرسان القبر المقدَّس المدعو دون بيار دي زارلت تقدَّم الى خلف البابا بولس وهو يوليوس الثالث ونال من كرمهِ ان يُسمح لفرسان القبر المقدَّس بان يؤلفوا شركة منظَّمة في الشرق ويعهدوا الى الرهبانيَّة اليسوعيَّة لتفتتح في الممالك العثمانيَّة ثلث مدارس جامعة الواحدة في القدس والثانية في الاستانة والثالثة في جزيرة قبرس ونشر البابا براءة في ذلك تاريخها ٦ كانون الاوَّل ١٥٥٣ . وكانت هذه البراءة مفقودة حتَّى اكتشفها حضرة الاب

هنري لامنس في ثبتة في المكتبة الشهيرة بروسيانا (Rossiana) التي نُقلت اليوم الى رومية فنشرها في مجلة الباحث (Etudes, *Juin*, 1896)

ألا انَّ تلك المساعي والبراءة البابويَّة لم تبرز الى حيّز الوجود لناهضةٍ وجدها دي زارات في سبيلهِ من قبل بعض المعترضين وذوي الغايات فتأجلت رغائب منشئ الرهبانيَّة اليسوعيَّة في خدمة الشرقيين. ثمَّ انتقل الى جوار ربّهِ في ٣١ آب ١٥٥٦

لكنَّ الله منحهُ قبل وفاتهِ لتحقيق آماله ان ينظم في سلك رهبانه شابًا ذكيًا شرقيَّ الاصل مرتدًا عن اليهوديَّة زيد به الاب جوان باطشتا اليانو المرسل مرتين كسفيرٍ الى الموارنة في لبنان وفي انحاء الشام وكان اعظم ساعٍ في فتح مدرستهم الرومانيَّة التي ادخلت الطائفة المارونيَّة في طور جديد بمن تخرَّجوا فيها من النوابغ وقد نشرنا شيئاً من اخبارهِ سابقاً في هذه المجلَّة

ثمَّ ورث رؤساء الرهبانيَّة اليسوعيَّة المأمون عن منشئهم محبَّتهُ للشرق فما صفا لهم الجوّ حتَّى فتحوا الرسالات الشرقيَّة المتعدّدة في الاستانة وجزائر اليونان كصاقز ونكسوس وفي انحاء الاناضول والارمن والعجم كازمير والارزروم واصفهان وفي جهات الشام ولبنان كحلب ودمشق وطرابلس وصيداء وعينطورا وفي مصر والحبش كالاسكندريَّة والقاهرة وقندهار فأتى ابناء اغناطيوس من الاعمال الرسوليَّة ما ابهج كنيسة الله وسرَّ قلب ابيهم المتنعّم بسعادة الابرار

وهذه الرسالات قد تجدَّد معظمها في القرن الماضي الى اليوم بعد انقطاعها مدَّةً بسبب النكبات التي حلَّت بالرهبانيَّة اليسوعيَّة بمكايد الاشرار في اواخر القرن الثامن عشر. فلا شكَّ ان اباهم القديس اغناطيوس يرى من علوّ مقامهِ ابناءهُ يفلحون تلك الكرمة التي اشتهى هو ان يسقيها بعرقه ودمه

ولهذا القديس المعظم مأثرة جليلة أُخرى في هذه البلاد يعود اليهِ فضلها تماماً نريد بها كتاب رياضاتهِ الروحيَّة الذي ألَّفهُ بوحيٍ خاصّ من الله فينعش في قلوب كلّ من يمارس تلك الرياضات روح التقى والغيرة المسيحيَّة الصادقة. واليوم قد عمَّ استعمالها سنويًا في كلّ انحاء الشرق وسائر الطوائف الكاثوليكيَّة وفي المدن والقرى فيجني منها اطيب الثمار الخلاصيَّة

٢ القديس فرنسيس كسفاريوس والشرق

ان كان لاغناطيوس دي لويولا فضل على الشرق الادنى فانَّ لتلميذهِ فرنسيس كسفاريوس فضلًا اعظم على الشرق الاقصى اعني الهند واليابان والصين . الَّا ان تلك الدعوة الخاصَّة كان يُقتضى للقيام بها رجلٌ مؤيد بقوَّة من الله جامع لكل الصفات الطبيعيَّة التي ينقاد لها الناس كجمال الخلقة وتوقُّد الذهن والمروَّة ورباطة الجأش والاستعداد لاقتحام كلّ المخاطر . وهذه الصفات كلها قد منحها الله عبدهُ فرنسيس

كان مولدهُ في ٧ نيسان ١٥٠٦ في تخوم اسبانية المجاورة لفرنسة في قصر اسرتهِ العريقة بالشرف . وما كاد يبلغ اشدَّهُ حتَّى انكبَّ على درس العلوم في وطنهِ اوَّلا ثمَّ في عاصمة فرنسة فبرع فيها براعة غريبة حتى قضى رفاقهُ ومعلموهُ العجب من ذكائهِ واناطوا اليهِ تدريس الفلسفة في كليَّة باريس التي كانت تُعَدّ وقتئذٍ في مقدَّمة كلّ مدارس اوربَّة فطمح ببصرهِ الى اشرف مناصبها

الَّا انَّ الله كان يريدهُ لما هو اجلّ واعظم من ذلك فارسل لهُ عبدهُ اغناطيوس الذي زهَّدهُ في مجد العالم و كلّ زخارفهِ ورغَّبهُ في الخيرات الروحيَّة الثابتة وفي خدمة ملك الملوك وكنيستهِ فصمَّ الآذان مدَّةً دون نصائحهِ الى ان فتح الله على قلبهِ فأبصر الحقيقة وبعد ان ارتاض تحت يد اغناطيوس برياضاتهِ الروحيَّة خرج منها رجلًا جديدًا لا يعرف كالرسول المصطفى الَّا يسوع وايَّاه مصلوبًا

وكان فرنسيس يتوق كمرشدهِ اغناطيوس الى التبشير في اصقاع فلسطين وسوريَّة . لكنَّ الله كان اختارهُ لمهامّ أسمى وخدمات اجلّ في سبيل الكنيسة ولمجدهِ تعالى

وكان البرتغاليُّون في تلك الأيام قد ساروا الى الهند وفتحوا منها قسمًا فرغب ملكهم يوحنَّا الثالث وكان رجلًا ذا دين وتقى ان يردّ الى الايمان الكاثوليكي اهل تلك البلاد الوثنيين فطلب من القديس اغناطيوس ان يرسل اليهِ بعض رفقتهِ لهذه الغاية فتعيَّن لذلك فرنسيس كسفاريوس . فشكر الله على هذه النعمة وبها تحقَّق ما كان رآهُ غير مرَّة بالحلم اذ كان يشاهد هنديًّا اسود اللون طويل القامة راكبًا على عاتقهِ يكاد يسحقهُ بثقلهِ فيئنّ فرنسيس من شدَّة ضغطهِ حتَّى يسمعهُ رفقتهُ الراقدون بقربهِ

وقع يوم سفر كسفاريوس من لسبونة عاصمة البرتغال الى الهند في ٧ نيسان ١٥٤١ وعمرهُ اذ ذاك ٣٦ سنة . وكان الحبر الاعظم بولس الثالث قد زوَّدهُ ببركتهِ قبل خروجه من رومية وخوَّلهُ انعامات شتّى وجعلهُ نائباً رسولياً لهُ في الاقطار الهنديَّة بموجب براءة سلَّمهُ اياها

لم تدُم رسالة فرنسيس كسفاريوس في الهند والشرق الاقصى. الّا عشر سنوات قضى ثلاثة اعوام منها في الاسفار فانَّ سفرهُ الاول من لسبونة الى غوا اقتضى ١٣ شهراً اذ لم تبلغ به السفينة الى الهند الّا في ٦ أيار ١٥٤٢ . وعليه قس بقيَّة اسفارهِ الى جزائر الهند ثم الى اليابان ورجوعهُ منهُ الى الهند ثم سفره الى الصين . فلم يبقَ لهُ للتبشير بالايمان الّا سبع سنين ومع قصر هذه المدَّة قد اتى فرنسيس باعمال جبَّاريَّة لم يُؤْتَ مثلها الّا لرسل المسيح الاولين

على انَّ القديس في اسفارهِ ايضاً كان يُفرغ كنانة المجهود في إصلاح مَن يركبون معهُ السفينة من وثنيين ومسلمين ونصارى فكم من الآيات اجترحها امامهم . وكم ردَّ منهم الى الايمان المستقيم بكلامهِ وقدوة سيرتهِ . وكم نجَّاهم من الغرق بصلاتهِ

بيد انَّ معظم مآثرهِ انَّما كانت بين عبدة الاصنام . فبعد أن قضى عدَّة اشهر في غوا وردَّ اهلها النصارى والبرتغاليين عن فتورهم وسيرتهم الشرّيرة حتَّى بعث فيهم روحاً جديدة واضرمهم غيرةً في امر خلاصهم ثمَّ انشأ لهم مدرسةً اكليريكيَّة لتهذيب الشبَّان المترشحين للكهنوت سار الى سواحل مدوراي وردَّ الى النصرانيَّة اهلها واكثرهم يرتزقون بالغوص في البحر لنزع اللآلئ من اصدافها وكانوا قديماً على النصرانيَّة الّا انَّهم بتمادي الزمان فسد ايمانهم باضاليل الوثنيين فارشدهم فرنسيس الى الحقّ وثبَّتهم في ايمانهم وهم لا يزالون الى اليوم يذكرون تعاليمهُ ويتشبَّثون بارشاداتهِ

ثمَّ بشَّر فرنسيس سكَّان راس قمرين وتجوَّل في مدنها وقراها ودعاهم الى الايمان وثبَّت تعاليمهُ بشفاء المرضى وصنيع المعجزات فآمنوا واعتمدوا فعمَّر لهم الكنائس والمدارس

ثمَّ دخل مملكة ترافنكور وعرض على ملكها واهلها ايمانهُ وأيدهُ بالعجائب الالهيَّة فأقام ميتَين الواحد نبشهُ من قبرهِ وكان الآخر محمولاً على النعش وطرد الشياطين وردَّ باشارة الصليب جيشاً من اعداء تلك المملكة فآمنوا جميعهم ونبذوا

عبادة الاصنام ولم تمضِ مدّة قليلة حتى شيَّد لهم في انحاء المملكة ٤٥ كنيسة وعمَّد في شهر واحد عشرة آلاف رجل

فشاعت سمعة القديس في انحاء الهند فكان اصحابها يسلون اليه الشفاة ويطلبون منهُ ان يذهب الى بلادهم ويصبغهم بمياه المعموديَّة فبشَّر اهل جزيرة منار وازال عنهم بشفاعتهِ الطاعون الذي فشا بينهم. ثمَّ زار في مدينة مليابور قبر القديس توما الرسول واصطنع فيها عدَّة عجائب ارتدَّ بسببها كثيرون الى التوبة

وقد تمَّ لهُ كلُّ ذلك بثلاث سنوات. وهو يسير في رسالاتهِ على الاقدام حافياً مرتدياً بثياب رثَّة كالفقراء فتزيد بسيرتهِ هذهِ هيبتُهُ في النفوس

وفي السنة ١٥٤٥ ابحر القديس الى جزائر الهند فبشَّر بالنصرانيَّة في مَلَقا ثمَّ اخذ ينتقل من جزيرة الى اخرى فنصَّر اهل جزيرة امبوانة وبارانورة وأُولاط وجزيرة ترنات وجزائر الملوك الخمس وقد اثمر فيها كلّها ثماراً من البرّ لا تُحصى وذلك خصوصاً بما كان يصطنعهُ من الخوارق فانَّهُ في مَلَقا احيا فتاةً ميتة وردَّها لاهلها سليمةً ونجَّى السفينة الحاملة لهُ الى امبوانة من القرصان. وفي جزيرة اولاط انقذ الملك ورعاياهُ بالتماسهِ المطر من السماء بعد حبسهِ مدَّة اشهر والمدينة على وشك فتح ابوابها للعدوّ لنفاد المياه. فرجع العدوُّ مُدبِراً واعتمد الملك ورعيَّتهُ. وردَّ اهل ترنات بما اوحى اليهم من الامور البعيدة متنبئاً بوقوعها. وهدى مَلِكتها بقوَّة براهينهِ في اثبات الدين المسيحي. وعمَّد في جزيرة تولو ٢٥،٠٠٠ من الكفرة. وعلى يدهِ اهتدى اهل جزيرة المور وتنصَّروا وكانوا قوماً من الهمج يأكلون لحوم البشر. وكان الساكنون في بعض هذه الجزائر يعاندون الحقَّ فيتهدَّدهم القديس بغضب الله فلا تلبث ان تصيبهم انواع من البلايا فينيبون الى الربّ فتكفّ عنهم

وكأنَّ الهند مع طولها وعرضها وكثرة سكّانها لم تكفِ لتبرّد غليل فرنسيس كسفاريوس فاراد ايضاً ان يُبحر الى اليابان وكان بلغهُ ان بعض تجّار البورتغاليين قد سافروا اليها للمتاجرة فتأثَّر من ذلك ايَّ تأثيرٍ وساءهُ ان يرى قوماً يقتحمون الاهوال الى اقاصي البلاد لأرباح زمنيَّة فيسبقون رُسُل المسيح وطالبي ملكوت الله

فبعد ان زار ثانيةً مقامات المرسلين في الهند وتحقَّق ثبات المرتدين الى الايمان واضاف اليهم غيرهم كثيرين من المهتدين ركب سفينةً لاحد الهنود كادت تتلف

غرقاً لولا شفاعة القديس فبلغت بهِ الى مدينة كنغوكسيا في ١٣ آب سنة ١٥٤٩

فلمّا نزل الى البرّ اخذ يبشّر بالمسيح بواسطة ترجمان يابانيٍّ كان القديس هداهُ الى الايمان في الهند يُدعى بولس الجر . لكنَّ الله بعد حين اتاح لهُ ان يتكلّم بلغتهم وذلك بمعجزة ظاهرة فبعد ان دعا اهل كنغوكسيا الى المسيح رحل الى مملكة فيرندو فعمَّد ابن ملكها والملكة امّهُ وكثيرين من ارباب الدولة . وانتقل الى مياقو عاصمة البلاد في ذاك الحين والى حاضرتهم امنجوشي ثم الى بلاد بُنغو وهو في كلّ هذه المدن يُعلن بحقائق الدين المسيحيّ ويدافع عنها امام ملوك اليابان وضدّ كهنة الاصنام ويؤيّدها بالمعجزات الباهرة كاقامة الموتى وطرد الشياطين وابطال اعمال السحر . ويمارس حيثما حلّ اسمى الفضائل الانجيليّة من صوم وصلاة ومقاساة الشتائم والاهانات والصفح عن المجرمين حتّى انّ الاعداء نفسهم اقرّوا بفضلهِ واذعن كثيرون من ملوكهم وامرائهم وعلمائهم الى دينهِ وفيهِ قال حينئذٍ احد زعماء البروتستانت: « يا ليتك وانت انت تكون من حزبنا مشايعاً لنا » ولكن هيهات ان يقوم مثلهُ في غير كنيسة المسيح الحقيقية !

لم يكتفِ كسفاريوس بنشر الانجيل وصَبغ الالوف المؤلفة من الوثنيين بماء المعموديّة لكنّهُ اراد ان يثبت النصرانيّة في تلك الاصقاع لئلّا تزعزعها انواء الاضطهادات فاناب عنهُ مرسلين غيورين من رهبانيّتهِ فنمت تلك الغرسة الصالحة في تلك التربة الجيدة حتّى اصبحت بعد حين دوحةً عظيمة وارفة الظلّ تأوي اليها جماهير المؤمنين الذين ضحّوا بعد سنين قليلة النفس والنفيس في سبيل ايمانهم فمات منهم عددٌ لا يحصى شهداء المسيح بكل رضى وطيب خاطر حتّى العذارى الفتيات والاولاد الاحداث فشرّفوا الكنيسة بثباتهم الى آخر نفس من حياتهم

هذا كلّهُ عائدٌ فضلهُ الى ذاك الأكّار الصالح الذي عرف في اي تربة يُلقي زرعهُ لئلّا تدوسهُ الأقدام وتخنقهُ الاشواك وتنقرهُ طيور السماء

كان رجوع فرنسيس الى الهند في اواسط نيسان من السنة ١٥٥٢ لكنَّ سفرهُ بحراً طال بسبب الانواء والاخطار الى كانون الاول فما كادت قدمهُ تطأ البرّ في غوا حتّى اسرع الى زيارة الرسالة الهنديّة فوجدها طبق مرامهِ نامية راقية تبهج نظر الله وكنيسته على انّهُ كان بلغهُ مدّة اقامتهِ في اليابان انّ اهل تلك الدولة يعتبرون الصين

كركز الحضارة ورأس المدنيَّة فقال له كثيرون أنهم اذا رأوا الصينيين ينضوون الى الدين المسيحي يقتدون بهم لا محالة . فكان ذلك باعثاً قوياً دفع كسفاريوس الى السفر الى الصين لينصّر اهلها . ولم يَرْعهُ ما كان يسمعهُ من المخاطر المتعدّدة وصعوبة النفوذ في تلك البلاد الموصدة الابواب للأجانب . فان ذكر هذه الاخطار ماكانت الّا لتزيدهُ رغبةً في تحقيق امانيهِ . وكان ناوياً بعد تبشيرهِ في الصين ان يسير برّاً الى اوربة فيردّ روسيَّة الى الكنيسة ثمَّ يسعى بارتداد البروتستانت في المانية فيرى الارض صغيرةً بازاء غيرتهِ

فاخذ من ثمَّ يستعدّ لهذا السفر الجديد ولم يلبث ان باشرهُ رغمَ ما وجدهُ في اتمام قصدهِ من المشقات لاسيا من قبل والي ملقا البورتغالي فابحر الى جزيرة سنسيان التي هي مدخل الصين راجياً ان ينتقل منها قريباً الى كنتون . لكنَّ الله اكتفى بحسن نيَّتهِ ورأى ان يجازيَهُ عن كلّ اعمالهِ مجازاة البطل الشهم الذي خدمَ سيّدهُ اخلص خدمةٍ فأُصيب في تلك الجزيرة بحُمّى خبيثة انهكت قواهُ وكانت سبب وفاتهِ في ٢ ك ١ سنة ١٥٥٢ فكان كموسى المتوفّى بازاء ارض الميعاد

ثمَّ نُقل جسد القديس الطاهر دون ان يصيبهُ الفساد وتعدَّدت المعجزات بشفاعتهِ بعد وفاتهِ ولا يزال جسدهُ الى اليوم سليماً دون اثر الفساد في مدينة غوا في كنيسة بديعة شُيّدت ذكراً له . وعلى قبرهِ مشهد فخيم من المعادن الغالية الثمن والحجارة الكريمة مثّلوا عليهِ اعمال القديس وعجائبهُ . وكلّ خمس سنوات تجتمع اساقفة الهند وجمهور عظيم من الناس فيُفتح القبر وتُعرض جثة القديس المحفوظة بلا تحنيط في هيئتها الطبيعيَّة فيراه الزوّار كأنهُ مضطجع نائم

ثم بلغت الكرسيّ الرسولي تفاصيل سيرة القديس واعمالهِ العجيبة وآياته الباهرة في حياتهِ ومماتهِ . فبعد الفحص المدقّق عن قداستهِ وفضائلهِ السامية نُصبت ذخائرهُ على المذابح ودُوّن اسمهُ في سجلّ اولياء الله

وكان في الوقت ذاته قد جرى الفحص عن حياة اغناطيوس دي لويولا وثبتت ايضاً برارتهُ الفائقة وعظم فضلهِ وفضيلتهِ . فكان الاعلان بقداسة اغناطيوس وابنهِ الروحيّ فرنسيس كسفاريوس في يوم واحد فتمجّد الله بعبدَيهِ وهما حتى يومنا هذا زينة كنيستهِ واحسن قدوة لمن يقصد خدمتهُ تعالى في الحياة الرهبانية وفي العيشة الرسولية بل اصبح اسمها مرادفاً للغيرة في نشر مجد الله الاعظم والتفاني في خلاص النفوس

نهضة پولونية

نظر اجمالي في دولتها للاب جبرائيل لوئنك اليسوعي

كان قبل الحرب الكونيَّة الاخيرة اسم پولونية نسياً منسياً لايكاد يعبأ احد بجسه وفي حقيقة الحال كانت روسيَّة محت اسم تلك الدولة من خوارطها فتشير الى موقعها باسم « دولة المعاهدة » تريد معاهدة ڤينَّة سنة ١٨١٥ التي أتفقت فيها روسيَّة وبروسية والنمسة على تجزئتها واتخذت كل دولة منها حصَّتها. ومذ ذاك الحين ضُرب الصفح عنها لئلّا يُحركوا بذكرها غضب قياصرة الروس . ومن ثمَّ عُدَّ صراخ احد الفرنسويين « فلتحي پولونية يا سيّدي » عند مرور القيصر اسكندر الثاني في باريس كإهانة لشخصه

وكثيرًا ما كنَّا نسمع سابقاً الدارسين لتاريخ ممالك اوربة اذا ورد اسم پولونية في التاريخ يقولون: « انَّ پولونية كانت من أصلها معرَّضة للموت والفناء » ويثبتون قولهم بالادلَّة الآتية: انَّ پولونية ليس لها حدود طبيعيَّة تصونها واهلها معروفون بطيشهم وخفة طباعهم ثم ان الدول الكبرى المجاورة لها كثيرة المطامع فلا عجب اذا تلفت وماتت

واليوم اذ عادت پولونية بعد ١٤٠ سنة الى الحياة نجد عددًا عديدًا من المتفلسفين الذين يشكُّون في ثباتها بالاستقلال الممنوح لها زاعمين انَّ اقسامها الثلثة السابقة الروسيَّة والالمانيَّة والنمسويَّة مختلفة العناصر متباينة الجوهر فلا تستطيع ان ترتبط بالوحدة القوميَّة

ولا يجهل الپولونيُّون ما يعترضهم في استقلالهم من المشاكل لكنَّهم مصمِّمون العزم على توطيد دولتهم لتُصبح راسخة القدم عالية الكلمة في اوربة الغربيَّة . ومن الدول التي تعبس في وجوه پولونية وتعترضها في رقيّها بريطانيةُ العظمى وليس ذلك على ما يظهر لاسباب اقتصاديَّة بل لانتماء اهلها الى الكثلكة . وكذلك يعادي پولونية كلّ الذين يعادون الدين المسيحي . وقد ظهرت معاداةٌ مثلها في آخر الحرب الاخيرة للنمسة الكاثوليكيَّة فتآمر عليها اليهود والبروتستانت والفرمسون بغضاً

بدينها فجعلوها في مؤخر الدول بعد ان كانت معدودة بين دولها الكبرى

وهذا البغض نفسهُ قد يضمرهُ لبولونية هؤلاء الاعداء فيمتعضون منها ويسعون في عرقلة امورها ويناصبونها القتال في حياتها الاقتصاديَّة والادبيَّة لئلَّا تنال ما تؤملهُ من الحضارة والترقّي

ولعلَّ احسن الوسائل التي يمكن البولونيّون ان يتوسَّلوا بها للذود عن حماهم ان يعرضوا حقيقة الامور بالصحافة والتآليف الصادقة فيبيّنوا العالم الخطة المثلى التي يسيرون عليها في دولتهم المستجدَّة ليزيلوا عنهم التهم الباطلة ويفنّدوا المزاعم المعادية. واذ قد وقفنا على تأليفين جديدين طُبعا مؤخرًا في اللغة الفرنسويَّة فها نحن نستخلص منهما المعلومات المفيدة لتعريف تلك البلاد المجهولة

والتأليف الاول مدارهُ على تحديد تخوم بولونية وضعهُ المسيو ونسلاس نلكوسكي ممَّا ألَّفهُ صاحبهُ قبل الحرب سنة ١٩١٢ وقد نقلهُ مؤخرًا الى الفرنسويَّة المسيو ڤارنسكي في وارسو سنة ١٩٢١ (١). ولأن تأليفهُ سبق الحرب لم يقصد منهُ مؤلفهُ الَّا الوجه العلميّ دون غاية سياسيَّة. وهو يُنحي الى تفنيد القائلين بان بولونية خالية من حدود طبيعيَّة فلا يتسنَّى لها ان تطلب لها الاستقلال

واثباتًا لقوله يقرّر وجوب استقلال بولونية لأنها هي الحاجز الطبيعيّ بين اوربَّة الغربية واوربَّة الشرقيَّة اذ اليها تنتهي مميّزات اوربَّة الغربيَّة فتمتزج تدريجًا بخواصّ اوربَّة الشرقية ولولا هذا الامتزاج التدريجيّ والاندماج اللذين لتصادمت الحضارتان وتغلَّبت عليها الروح القوميَّة المعادية. فموقعها بالنسبة الى شبه جزيرة اوربَّة الغربيَّة كموقع سهول لمبردية بالنسبة الى جبال ابنين او كموقع وادي الكنج بالنسبة الى معاملة دكّان في الهند. فبولونية مثلها تعدّ كساحة وغى للشعوب فيها يظهر نفوذ احد العنصرين المتنافيين. قال احد كبار الكتبة: «انَّ بولونية كالجنديّ الواقف على باب اوربَّة الغربيَّة يصون تخومها الزاقي لئلا تعيث به الامم الهمجيَّة الواردة من آسية». وقد ظهر فضل بولونية يوم تقدَّم الاتراك فبلغوا الى ابواب ڤينَّة فانَّ جنودها ردُّوهم خائبين فكانت نجاة اوربَّة على يد ملكهم سوبيسكي سنة ١٦٨٣

(١) اسمهُ بالفرنسوي: **Wenceslas Nalkowski : La Pologne entité géographique**. traduit par **T. Warynski**, *Varsovie*, 1921

وامتياز بولونية بكونها دولة متوسطة يظهر ليس فقط في موقعهـا بل يلوح ايضاً في اقليمها ونباتها وحيوانها ولا سيما في طباع اهلها . فان اعتبرتَ طرفي بولونية وجدت في غربيّها العنصر الجرماني الممتزج بالاخلاق البولونيّة . وفي شرقيّها عدَّة عناصر صقليبة وروثنيّة وليتوانيّة يتشتّت بينها العنصر البولوني . ولنا دليل على صفة بولونية العبوريّة في العنصر اليهودي المتجمع فيها متوفّراً كفى احد مراكزه .

وفي اديان بولونية وآثارها الهندسيّة دليل آخر على قولنا بأنّها دولة وسطى جامعة بين المتباينات . فانّ الطائفة اللاتينيّة هي الغالبة على الشعب غرباً والطقوس الشرقيّة عليه شرقاً في الروثنيين . وكذلك الهندسة الكنسيّة والدنيّة تشبه في الغرب الابنية الشائعة في اوربّة الغربية من الزيّ الروماني والقوطي والمستحدث . امّا في الجانب الشرقي فترى الهندسة البوزنطيّة وبروجها المقبّبة وذلك تدريجاً على قدر ما تسير الى المنطقة الشرقيّة او الجنوبيّة الشرقيّة . ففي تلك البسيطة الواسعة تألّف شعبٌ مستقلّ احيا تربتها ووشّتها بسمته

هذا ما استفدناه من التأليف الاوّل ونحن مصدّقون على قول كاتبه واثباته لميزة وطنه عمّا سواه . امّا التأليف الثاني فامهم فائدةً واشمل موضوعاً وهو تقويم بولوني للسنة ١٩٢١ يصف احوال بولونية بعد فوزها بالاستقلال

لمّا انتشبت الحرب الكونيّة سنة ١٩١٤ نزل البولونيّون في ساحة الوغى في جانبي الدول المتحاربة لانقسام وطنهم بينها الّا ان الجيوش البولونيّة التي كانت مع الدول المركزيّة النمسة والمانية ابلت بلاء اصدق واثبت لبغض جنودها لروسيّة الظالمة . واجتهد الروس ان يكسبوا ثقة البولونيين الذين تحت حكم دولتهم فوعدهم الغرندوق نقولا نقولوفتش بالاستقلال لكنّهم لم ينخدعوا لهذه المواعيد العرقوبيّة التي جدَّدها القياصرة مراراً دون اتمامها فعلاً

وكان الفوز في اواخر السنة ١٩١٤ في جانب السكوب الذين دخلوا بلاداً غاليسية اي بولونية النمسويّة فنهبها القوزاق واحرقوا كنائسها واسروا اساقفها وسبوا الاسقف الروسي افلوجيوس احداثاً ليخرّجهم على الاخلاق الروسيّة . فزاد كلّ ذلك نفور البولونيين من اعدائهم السكوب

ثم دخلت السنة ١٩١٥ فانقلبت الامور وزحفت الجيوش الالمانيَّة والنمسويَّة على روسيَّة فحلَّت اولًا غاليسية ثمَّ سارت الى بولونية الروسيَّة منتصرة فدخل الالمان الى حاضرتها وَارسو (فرسوفية) . وبدخولهم انتعشت آمال البولونيين وتشوَّفوا الى استقلال بلادهم

وفي الواقع منح الالمانيُّون بعد مدَّة اهل بولونية نوعاً من الاستقلال اعلنوا به في ٥ تشرين الثاني من السنة ١٩١٦ لكنَّ المانية قيَّدت تلك الوهبة بشروط ثقيلة اذ جعلتها تحت نظارتها وبثَّت في انحائها فِرَق جنودها لتدبير حركاتها الحربيَّة . وكانت النمسة وعدت بولونية بأنَّها تردُّ لها غاليسية لترضيها

وفي تلك الاثناء صارت الدول باجمعها بعد فشل روسيَّة تنظر الى بولونية بعين اللطف وتتمنَّى لها الخير . فان الرئيس ولسون جاهر في ندوة شيوخ الولايات المتَّحدة في اوائل سنة ١٩١٧ بحقوق بولونية في الاستقلال التامّ . بل اعترفت حكومة السوفيات الجديدة في بتروغراد في شهر آذار بذلك الاستقلال . امَّا فرنسة فتحقيقاً لأماني صديقتها بولونية ألَّفت جيشاً من البولونيين في تخومها تمدُّ اليها يد المساعدة

على ان الاستقلال المطلق لبولونية في السنة ١٩١٦ كان في الظاهر اكثر منهُ في الحقيقة لكثرة ماكانت تلقى الدولة الجديدة من المصاعب . فكان موقفها حرجاً بين المجلس الوطني الذي شكَّلهُ اهلها لتدبير الامور وبين الحكومة الشرعيَّة التي كانت في ايدي مجلس موقَّت يتألَّف من ٢٦ شخصاً يعيِّنهم ارباب الجيش الالماني . فتوترت الاحوال بين المجلسين وخصوصاً بتطرُّف الاحزاب من الاشتراكيين والديموقراطيين . ثمَّ تحسَّنت الامور نوعاً بتأليف مجلس اداري وشورى وزاريَّة في ايلول سنة ١٩١٧ فسلَّمت الدول المركزيَّة امور الدولة والمعارف الى هيئتهِ

وكان السوفيات بعد سقوط الملكيَّة يطلبون من المانية ان تستدعي عساكرها من بولونية . وكذلك طلبت بولونية ان يكون لها حصَّة في معاهدة برست ليتوسك الّا انهُ لم يتمَّ شيء من كلّ ذلك

فاتَّفقت حينئذ فرنسة وانكلترة والولايات المتَّحدة على إعلان استقلال بولونية متألفة من اقسامها الثلاثة التي اغتصبوها منها . وذلك في كانون الثاني من السنة ١٩١٨ . لكنَّ اعتراف الدول المتحالفة بقي دون مفعول مدَّة نصف سنة حيث كانت

بولونية تلقى من جهة البلاد المجاورة لها مشاكل عديدة كانت سبَّبتها معاهدة الالمان والروس في برست‌ليتوسك ٠ فمن ذلك ان اوكرانية وضعت يدها على اراضي يشلم التي كانت تدّعي بها بولونية ٠ وكذلك قامت في وجه بولونية دولة ليتوانية لسبب ضبط الحدود الفاصلة بين الدولتين لاسيا لتنازعهما كلتيهما في الحكم على قيلنا الحاضرة البولونية الشهيرة

ثم تقلَّبت الامور ثانيةً وفي تشرين سنة ١٩١٨ باشرت دول الاتفاق غاراتها في الوجهة الغربية وتوالت انتصاراتها ٠ ففي شهر تشرين الاوَّل تولَّى المجلس الاداري في بولونية تدبير البلاد وطلب من الجيوش ان تقسم له قَسَم الطاعة ٠ وفي تشرين الثاني طردت الحامية الالمانية من بولونية الروسيَّة وعُهد بالامر الى رئيسها الحالي جوزف بيلسودسكي ٠ وفي شهر كانون الاول اضطرَّت الجنود الالمانية الى تخلية بولونية البروسيانيَّة ٠ وبذلك عادت بولونية الى تخومها السابقة في القرن الثامن عشر

وفي السنة ١٩٢٠ اعترفت الدول تباعاً باستقلال بولونية التامّ ٠ فاصبحت دولةً يبلغ اهلها ٢٥٠٠٠٠٠٠ من النفوس ٠ كان نحو النصف منهم في قبضة روسيَّة في القسم المعروف منها باسم «مملكة المعاهدة» انفةً من اسم بولونية وكانت قسمت تلك المملكة الى عشر ولايات حشدت فيها كل يهود روسيَّة

وهذا القسم الذي اغتصبته روسيَّة ورُدّ الى نصابه يُقسَم اليوم الى خمس ولايات (palatinats) لم ينتقص منها الّا قطعة صغيرة صارت في حكم ليتوانية ٠ والبولونيون الاصليون يبلغون في الايالات المذكورة ٧٦ في المئة من عنصرهم

والقسم النمسوي اي غاليسية يتركَّب من ثمانية ملايين من النفوس نصفٌ منهم بولونيون اصليُّون والنصف الاخر يتركَّب من الروثيين او الاوكرانيين

امَّا القسم الثالث الذي كانت استولت عليه بروسية اعني غرندوقيَّة بوسنانية فاستردَّتهُ بولونية لأن تسعة اعشار اهلها من الاصل البولونيّ

ويُضاف الى هذه الاقسام الثلثة بعض المقاطعات اخصُّها اراضي بيالستوك التي اختار اهلها الانضمام الى بولونية ٠ هذا فضلاً عن قسمٍ من سيليزية العليا الذي تألَّبت بولونية في العام الماضي ٠ وكلّ هذه الانحاء حافلة بالسكان البالغ عددهم ٩٤ في الكيلومتر ٠ والغالب على تلك الاراضي التربة الزراعية البالغة ٥٨ في المئة من مساحتها ٠ ثم يتبعها في عظم

شأنها اتساع احراجها. وقد قلّ عدد كبار المتملكين الذين يملكون حاضرًا ٤٢ بالمئة من الاراضي. امّا المستغلات الشائعة فهي خصوصاً البطاطا والجاودار والشوفان ثم القمح والشعير. وهناك المعامل الكبرى للسكّر وللبيرة وللاستقطار

وتحت هذه التربة السطحية كنوز معدنية في غاية الشأن اخصّها الفحم الحجري فان هناك من المناجم الفحمية ما يفوق على مستودعات انكلترة والمانية معاً. ولهذا السبب تترقّى پولونية يوماً بعد يوم في صناعتها فترى سكّان القرى يتواردون الى حيث تتوفر اعمال الصناعة كوارسو ولودس. وفي تزاحم الفعلة في المدن كما لا يخفى خطر ظاهر بنمو الحزب الاشتراكي. والفعلة في پولونية ومثلهم الفلّاحون يؤلفون النقابات والشركات المتضامنة ويعقدون الاجتماعات المختلفة

أما المعارف فانها تختلف باختلاف اقسام پولونية الثلثة وكان عدد المدارس في غاليسية اوفر منهُ في روسية والمانية وكان النمسويون يسمحون بتعليم اللغة الپولونية بخلاف الدولتين الاخريين. فما أعلن بالاستقلال حتى توفرت المدارس في كلّ طبقاتها وازداد عدد التلاميذ ازدياداً مهماً. فانّ عدد المدارس كان قبل الحرب لا يتجاوز ٥٨٥٥ يدرس فيها ٤٠٦،٠٩٦ تلميذاً وقد بلغ سنة ١٩١٨ عدد المدارس ١٠،٣٥٦ يتردّد اليها ٨٦٨،٧٥٠ ولداً. وكذلك التعليم الثانوي فانّ مدارسهُ التي كانت قبل الحرب ٣٥٧ اصبحت سنة ١٩١٨ ٤٢٣ ونما عدد طلبتها من ٨٧،٠٠٠ الى ٩٨،٠٨٥ طالباً

وللعلوم العليا سبع كليات جامعات في كراكو (كراكوفية) ولمبرغ ويوزن وڤيلنا ولوبلين وكليتان في وارسو. واثنتان من هذه الكليات حرّتان في وارسو ولوبلين. ولبقية العلوم الاختصاصية نحو عشرين مكتباً

هذا نظر اجمالي اقتطفنا فوائدهُ من التقويم المومأ اليهِ ومنهُ يتّضح ما في پولونية من الحركة والانبعاث الى الترقي والحضارة. وما هي الّا نهضة من شعبٍ حرّ طالما ضغطهُ اعداؤهُ بقوّتهم الجبرية وهو اليوم يطمح الى ما يستحقّهُ من الرفعة وعلوّ المقام

ومما كنّا وددنا ان نطّلع عليهِ في هذا التقويم فأسفنا على نقصانهِ وصف حالة پولونية الدينية. وهي على ما نعلم غاية في الازدهار وكفى بهِ دليلاً اعلان رؤساء پولونية بنيّتهم ان يتّخذوا الدين الكاثوليكي وسُنّتهُ كقاعدة دولتهم الجديدة

مجالس ايليا مطران نصيبين

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

(٦٥) المجلس السادس

في ذكر ما جرى من البحث في النحو واللغة والخطّ والكلام

وفي يوم الثلثاء الثامن من جمادى الآخرة حضرتُ مجلس الامير فقال لي : ألكم من العلوم مثل ما للمسلمين ؟

قلت : نعم وزيادة وافرة

قال : وما الدليل عليه ؟

قلتُ : انّ عند المسلمين علوماً كثيرة منقولة من السريان وليس عند السريان علمٌ منقول من عند العرب

قال : أفلكم علم النحو واللغة وحسن الخطّ والكلام مثلما للمسلمين ؟

قلتُ : نعم

قال : فكيف نَحْوُ السريانيين من نحو العرب ؟

قلتُ : نحوُ السريانيين احسن واكثر فائدة واعظم فضيلة

قال : أترفعون الفاعل وتنصبون المفعول كما تفعل العرب ؟

قلتُ : لا

قال : فكيف تعرفون الفاعل من المفعول ؟(٦٦)

قلتُ : «انّ المفعول ليس يخلو ان يكون مجانساً للفاعل او غير مجانس فالمجانس هو مثال قولنا : « ضرب زيدٌ عمراً» فعمروٌ مجانس لزيد اذ عمرو انسان وزيد انسان . ومثلهُ قولنا : « قتل خالدٌ بكرًا وسبقَ الفرسُ الاشقرُ الفرسَ الادهمَ . ونطحَ الثورُ الاسودُ الثورَ الأبيضَ» وغير ذلك من الاشياء المتجانسة . وامّا الذي ليس هو متجانس فمثل قولنا : « خلقَ اللهُ العالمَ . ورحم اللهُ زيدًا . وركب زيدٌ الحمارَ . واكل عمروٌ الخبزَ . وشرب بكرٌ اللبنَ » وما شاكل ذلك ممّا مفعولهُ غير مجانس لفاعله

«فلمّا رأى السريانيّون الفاعلَ والمفعول على هذين القسمَين وانّ المفعول لا يلتبس

بالفاعل الّا اذا كان مجانساً له. الّا في النادر حسبما أبيّنهُ أدخلوا على المفعول المجانس للفاعل حرفَ اللام كما يُدخلهُ العرب على المفعول في بعض كلامهم نحو قولهم : « قال زيدٌ لعمرو . ودعا خالدٌ لبكرٍ » . ولم يُدخلوا هذا الحرف على المفعول الذي لا يجانس الفاعل اذ لا يلتبس بما تقدَّمَ عليهِ او تأخَّرَ عنهُ كما لا يلتبس قولنا « خلقَ اللهُ العالمَ » (٦٧) سواء تقدَّمَ اسمُ العالم على اسم الله او تأخَّرَ عنهُ اذ يستحيل ان يكون العالم خالقاً والله تعالى مخلوقاً . كما لا يلتبس قولنا : « رحمَ اللهُ زيداً . وركبَ زيدٌ الحمارَ . واكلَ عمروٌ الخبزَ . وشربَ بكرٌ اللبَنَ » وما شاكل ذلك ممَّا لا يلتبس تقدَّمَ المفعول او تأخَّر أُعرِب ام لم يُعرَب . فبإدخال اللام على المفعول المجانس لفاعلهِ عرف السريانيُّون المفعولَ من الفاعل تقدَّم او تأخَّر

« وقد يتَّفق في النادر ان يكون مفعولٌ غيرَ مجانسٍ لفاعلهِ ويجوز وقوع الفِعْل منهما معاً نحو قولنا « ضرب زيد الفرس » فقد يُحتمَل ان يكون المراد بهذا القول انَّ زيداً ضربَ الفرسَ ويُحتمل ان يُرَاد بهِ انَّ الفرسَ ضربَ زيداً . فكلُّ مفعولٍ هذه صفتهُ يُدخل السريانيُّون عليهِ ايضاً اللام ليُفرِّق بينهُ وبين فاعلهِ . ولمَّا كان العرب انَّما يرفعون الفاعل وينصبون المفعول ليفرقوا بينهما وكان للسريانيين علامة تدلُّهم على الفرق بين الفاعل والمفعول هي أبيَنُ من الرفع والنصب ما احتاجوا ان يرفعوا الفاعل وينصبوا المفعول كما تفعل العرب (٦٨)

قال : وما الدليل على انَّ ادخالَ حرف اللام على المفعول أبيَنُ من رفع الفاعل ونصب المفعول في الفرق بينهما ؟

قلتُ : لأنَّ حرف اللام يفرقُ بين كلِّ فاعل ومفعول وليس الرفع والنصب كذلك . وذلك اذا قلنا : « ضربتْ سَلْمَى السَّكْرَى . وكسرتِ العصا الرحى . وقتل سيبويهِ خالويهِ » لم يَفرق الرفعُ والنصب بين فاعل هذه الافعال ومفعولها . وكذلك يجري الامر في سائر الاسماء التي لا تنصرف

قال : فما فضيلةُ لغة السريانيين على لغة العرب ؟

قلتُ : انَّ فضيلة لغة السريانيين على لغة العرب هي انَّ كلام السريانيين ما فيهِ التباس اذا تكلَّم بهِ احدٌ مشافهةً ولذلك استغنى عن النحو فيما يُشافِهُ بهِ بعضُهم بعضاً . وامَّا كلام العرب فكثيراً ما يُلتبَسُ بهِ في المشافهة . والذي يلتبسُ منهُ على

ضربين : فمنهُ ما يكشفُ النحوُ والإعراب لَبسَهُ كقول القائل : « ضرب زيدٌ عمرًا وضربَ عمرًا زيدٌ . واكرم خالدٌ بكرًا واكرمَ بكرًا خالدٌ » فانَّ السامع يعلم انَّ زيدًا (٦٩) هو الضارب لانهُ مرفوع وعمرًا مضروبٌ لأنَّهُ منصوب . وخالدًا مُكرِمٌ لأنَّهُ مرفوع وبكرًا مُكرَمٌ لأنَّهُ منصوب . وما شاكل ذلك من الاقاويل التي لولا الاعراب لألتبست

« وأما ما لا يزيل النحوُ لَبسَهُ كقول القائل : « ضرب عيسى موسى . وقتل القاضي الغازي . ورَحمَ وكيلي خازني » وما شاكل ذلك من الاقاويل التي لا يتميَّز فاعلُها من مفعولها . ومما يلتبس ايضاً ولا يكشف الاعراب لَبسَهُ كقول القائل : « لقيتُ زيدًا مسرورًا » فان السامع لا يعلم صاحب الحال وهل المتكلّم هو المسرور او زيد . ومثلهُ : « لقيت عمرًا خجِلًا . ولقيتُ بكرًا مهموماً » وما شاكل ذلك . واذا كان الامر على هـذا ولم يكن في كلام السريانيين اذا تكلّموا به مشافهةً ما يلتبس بهِ كلام العرب التباساً يكشف النحوُ بعضَهُ وبعضُهُ لا يكشفهُ عُلِمَ انَّ لغة السريانيين افضل من لغة العرب ؟

قال : وما فضيلة نَحوِ السريانيينَ على نَحو العرب ؟ (٧٠)

قلتُ : « انَّ فضيلة نَحوِ السريانيين على نحو العرب انما هي انَّ نَحوَ السريانيين ضروريٌّ ونَحو العرب اصطلاحيٌّ . ويفضلهُ ايضاً بأنَّ نحو السريانيين ضروريٌّ يزيل اللبس الواقع في الكتاب ونحو العرب ليس يزيلهُ . فانا ابيّن ذلك بامثلةٍ اذكرها فاقول :

« انَّ الكلام مؤلّف من جُمَل . والجُمل مؤلّفة من مبتدإٍ وخبرٍ ومن فعل وفاعل ومن خبرٍ واستخبار وطلبٍ وسؤال وامرٍ ودُعاء . وتعجّب وغيرِ ذلك . وقد تلتبس معاني هذه الاقسام بعضها ببعض اذا كُتبت . فمن ذلـك اختلاط جملة في جُملة نحو قول القائل : « وصل المصريّون والشاميّون والعراقيّون لم يصلوا » فهذا قولٌ مؤلّف من جملتَين ويُحتمل ان يكون المراد بهِ « انَّ المصريين والشاميين وصلوا وانَّ العراقيين لم يصلوا » . ويحتمل انَّ المراد بهِ انَّ المصريين وصلوا وانَّ الشاميين والعراقيين لم يصلوا . فـاذا تكلّم المتكلّم بهِ بالسريانيّة او بالعربيّة مشافهةً علم السامع من اشارات المتكلّم ونَغَمات صوته هل المصريّون والشاميّون وصلوا كلهم او المصريين وصلوا ولم يصل الشاميّون والعراقيّون . فهذا القول اذا كُتب بالسريانيّة فـانَّ قارئهُ

يفهم معناهُ كما يفهمهُ اذا سمعهُ مشافهةً . وكذلك ايضاً يفهمهُ من يسمع قراءتهُ بالسريانيَّة . فامّا اذا كُتب بالعربيَّة فلا القارئ ولا السامع يفهمان معناهُ (٧١)

فلهذا السبب وقع الخُلف بين علماء المسلمين في قولهِ الوارد في القرآن (سورة آل عمران ع ٥) : «وما يعلم تأويلهُ الّا الله والراسخون في العلم قالوا: آمنّا» فقال بعضهم انّ الله والراسخين في العلم يعلمون تأويلهُ . وقال آخرون انّ الراسخين لا يعلمون تأويلهُ وانّما آمنوا بهِ فقط . فنحوُ العرب ليس يدلُّ على حقيقة ذلك كما يدلُّ نحوُ السريانيين على المراد بهذا القول لو كان سريانياً

«ومن ذلك التباس المبتدإ بالخبر والخبر بالمبتدأ نحو قول القائل : «زيدٌ غلامُ عمرو» فانّ هذا القول يُحتمل ان يكون كاملًا تامّاً مركّباً من مبتدإ وخبر بانّ زيداً مبتدأ وعمرًا خبرهُ . ويُحتمل ان يكون كلّهُ مبتدأ يقتضي خبراً نحو قول القائل : «زيدٌ غلامُ عمرٍو فاضلٌ» فقولهُ «زيدٌ غلامُ عمرو» مبتدأ (١) وقولهُ «فاضل» خبره . ويحتمل ان يكون خبراً لمبتدإ قد تقدّمهُ نحو قول القائل «الوارد من الموصل زيدٌ غلامُ عمرو» فقولهُ «زيدٌ غلامُ عمرو» مبتدأ مع بدلهِ وقولهُ «الوارد من الموصل» خبرهُ واذا تكلّم المتكلم بهذا القول الذي هو «زيدٌ غلام عمرو» بالسريانيَّة او بالعربيَّة مشافهةً يفهمُ السامع ايّ قسم اراد بهِ المتكلم من هذه الاقسام الثلثة (٧٢) وكذلك اذا كُتب بالسريانيَّة . وامّا اذا كُتب بالعربيَّة فلا يعلم القارئ ولا السامع غرض المتكلّم بهِ

«ومن ذلك التباس الإخبار بالاستفهام نحو قول القائل : «عالمٌ بالبصرة» فانّهُ هذا القول يحتمل ان يكون استفهاماً واذا تكلّم بهِ المتكلّم بالسريانيَّة او بالعربيَّة مشافهةً يعلم السامع عن اشارات المتكلم هل هو مُخبِر او مُستفهم . وكذلك اذا كُتب بالسريانيَّة يعلم القارئ والسامع ذلك . وامّا اذا كُتب بالعربيَّة فلا القارئ ولا السامع يعلمان غرض الكاتب بهِ الّا بأن يُقدّم عليهِ حرف الاستفهام

ومن ذلك التباس الامر بالطلب نحو قول القائل : «أعطِني مائة درهم» فانّ هذا القول يحتمل ان يكون سؤالًا . واذا تكلّم بهِ المتكلّم مشافهةً بالسريانيَّة او بالعربيَّة يعلم المخاطَب بهِ من اشارات مخاطِبهِ هل هو مأمور او مسؤول . وكذلك اذا كُتب هذا القول بالسريانيَّة فانّ قارئهُ ومن يسمعهُ يعلمان أهو امرٌ او سؤال . وامّا

١) يُريد المبتدأ مع بدلهِ «غلام عمرو» .

اذا كُتب بالعربيّة فليس يعلم ذلك القارئ ولا السامع

• ومن ذلك التباس الإخبار بالدعاء، (٧٣)نحو قول القائل: « غفر الله لك» فقد يحتمل هذا القول ان يكون خبرًا ويحتمل ان يكون دعاء، فاذا تكلّم به المتكلّم بالسريانيّة او بالعربيّة مشافهةً علم السامع غرض المتكلّم ، وكذا اذا كُتب بالسريانيّة يعلم القارئ والسامع ذلك ، امّا اذا كُتب بالعربيّة فلا يعلمان الغرض فيه ما هو

• ومنهُ التباس السؤال بالتعجّب نحو قول القائل : « كيف خربت المدينة» فقد يحتمل هذا القول سؤالًا ويحتمل ان يكون تعجّبًا ، واذا ورد مشافهةً يعلم السامع الغرض منهُ وكذلك اذا كُتب بالسريانيّة ، واما اذا كُتب بالعربيّة فلا يُعلم الغرض منهُ ، واذا كان الامر على هذا فقد ثبت انَّ نَحْو السريانيين يكشف ما لا يكشفهُ نَحْوُ العرب

قال الوزير : « وامّا يُفيدنا نَحْوُ العرب معرفة معاني كثيرة ملتبسة مثل القول (٧٤)الوارد في القرآن (سورة التوبة ع٣) : «انَّ اللهَ بريءٌ من المشركين ورسولُهُ» فانهُ لولا الإعراب توهّم السامع او القارئ انَّ الله بريءٌ من المشركين ومن رسولهِ ، ومثلهُ قولهُ (سورة الملائكة ع ٢٥) : «انّما يَخشى اللهَ من عبادهِ العُلَماءُ» فانهُ لولا الاعراب توهَّم السامع والقارئ انَّ الله يخشى من العلماء ، ومثل ذلك اقاويل كثيرة لولا الاعراب لالتبست على السامع والقارئ »

قلتُ : « انهُ قد يتّفق انَّ اقاويل كثيرة لا يكشف النحوُ لُبسها مثل هذين القولين ، واذا كان الامر على هذا فلا فخر في قولَين يكشف الاعراب لبسهما بالاتّفاق وهو لا يكشف لُبس اقاويل كثيرة مثلهما ، فمن ذلك قول من يقول : « انَّ اللهَ بريءٌ من المشركين وعيسى وموسى » ومثلهُ : « انَّ الله بريءٌ من المشركين وسيبويه » او « بريءٌ من المشركين ومَلّتي » او « بريءٌ من المشركين ومرشدي الى الحقّ» (٧٥) فانَّ هذه الاقاويل جميعها ممّا لا يكشف الإعراب لُبسها كما كشف لُبس قولهِ « انَّ الله بريءٌ من المشركين ورسولُهُ »

• ومن ذلك ايضاً قول من يقول : «انَّ اللهَ يعاقبُ المشركين ورسولُهُ »ومثلهُ لعلّ اللهَ يرحمُ المظلومين ورسولُهُ » فانَّ النحو لا يكشف لُبس هذه الاقاويل كما

كشف لَبس قوله «انَّ اللهَ بريءٌ من المشركين ورسولُهُ».

وكذلك قول من يقول: انَّما يسمع اللهُ من علمائهِ وموسى» ومثلهُ «انَّما يخاف وكيلي من اصحابي وخازني» وما شاكل ذلك ممَّا لا يكشف النحوُ لَبسَهُ كما كشف لَبس قوله: «انَّما يخشى اللهُ من عبادهِ العلماء». واذا كان الامرُ على هذا فقد (٧٦) ثبت انَّ نَحو العرب ليس يكشف لَبس كلَّ الاقاويل الجارية في الكلام وانَّما يكشف لَبس بعضها بالاتفاق. على خلاف نَحوِ السريانيين الذي يكشف لَبس كلَّ الاقاويل كشفاً واحداً»

قال الوزير: وكيف استخرج علماء السريانيين نَحوهم وعلى ايّ اصول رتَّبوهُ؟

قلتُ: «انَّ علماء السريانيين ابتدأوا فأَحكموا كلامهم إحكاماً لا يلتبس عليهم شيءٌ منهُ اذا تكلَّموا بهِ مشافهةً. ثمَّ بعد ان أَحكموا ذلك وأتقنوهُ حدَّدوا اقاويل كثيرة لا تلتبسُ مشافهةً وانَّما تلتبس في الكتابة مثل اختلاط جملةٍ في جملة. والتباس المبتدإ بالخبر والخبر بالمبتدأ، والتباس الخبر بالاستفهام والسؤال بالطَّلب. وغير ذلك من اقسام الكلام المقدَّم ذكرها

«فبحثوا عن السبب الذي من اجلهِ لا تلتبس تلك الاقاويل اذا تكلَّموا بها مشافهة وتلتبس في الكتابة عند سائر اهل الكتابة والخطوط (٧٧) فوجدوا انَّ السبب في ذلك هو اشارات المتكلم ورفعُ صوتهِ وخفضُهُ ولينُهُ وقوَّتهُ حسبا يقتضيهِ معنى الكلام. وذلك انَّ المتكلّم اذا كان سائلاً تكون اشارتهُ غير اشاراتهِ اذا كان مستخبراً. واذا كان مخبرًا تكون اشارتهُ غير اشاراتهِ اذا كان داعياً. واذا كان مستفهماً تكون اشارتهُ غير اشاراتهِ اذا كان مُخبرًا فجعلوا لكل قسمٍ من هذه الاقسام علامةً وهي نقطةٌ او نقطتين او اكثر يضعونها على القول واذا شاهدها القارئ علم ما هو المعنى وقرأها بالاشارات التي يعرفها الحاضر عند سمعها

«وذلك انهُ اذا رأى القارئ على القول علامة الاستفهام قرأ ذلك القول باشارات الاستفهام. واذا رأى عليهِ علامة التعجُّب او علامة الامر او علامة النداء قرأهُ باشارات التعجُّب او الامر او النداء. واذا شاهد عليهِ علامة القطع بين الجملتين وقف وقفاً يدلُّ على القطع. وكذلك اذا شاهد عليهِ علامة انقضاء المبتدإ وابتداء الخبر قطع

قطعاً يدلُّ على ذلك. ولهذا السبب لا يلتبس (٧٨) على السريانيين شيءٌ من كلامهم وكتابهم. واذا كان الامر على هذا فقد عُلم ان نحو السريانيين اجود من نحو العرب • وذلك انَّ نحوَ العرب تابعٌ لكلام العرب مرتَّبٌ على ما يقتضيهِ كلامهم المصطلح عليه. ونحو السريانيين مبنيٌّ على اصول عقليَّة وقياسات ضروريَّة. وقد بيَّن ابو بكر محمد بن زكريَّا الرازي في كتاب الطبّ الروحاني في الفصل الخامس منهُ انَّ نحو العرب من العلوم الاصطلاحيَّة الضروريَّة. وحُكي عن بعض الشيوخ العلماء. انهُ قال في نحو العرب: انهُ علمٌ مَنْ لا علمَ لهُ لا يفرحُ بهِ من لا عقل لهُ. وبيَّن ايضاً حنين ابن اسحاق في المقالة الثالثة من كتابهِ في نحو العرب انَّ العرب ليس لهم نحوٌ يعرفون منهُ المعاني الغامضة كما للسريانيين (٧٩). ويستدلُّ من قولهِ انَّ نحو العرب غير كافٍ ولا مُمتنع لما يُحتاج اليه. ولم أَقُلْ ذلك وانا أَقصد الطعن في نحو العرب ولا ان أَجحد فضلهُ وشرفهُ وانما قصدتُ من ذلك ان ابيّن انَّهُ اذا قيس نحو العرب بنحو السريانيين وُجد نحو العرب دونهُ ووُجد نحو السريانيين اكثر فائدة واعظم فضلاً •

*

قال الوزير: وكيف علمُ اللغة عندكم كما عند المسلمين ؟

قلتُ: انَّ علم اللغة ضروريٌّ عند سائر اهل اللغات بهِ تقوم معرفة الاشياء وإثباتها ومعرفة الافعال وتصريفها والحروف ومعانيها ومعرفة الزوائد والحذف والقلب والادغام وغير ذلك من التصريف وللسريانيين في ذلك معرفة تامَّة.

قال الوزير: أَفيستعملون المجاز في كلامهم كما يستعملهُ العرب ؟

قلتُ: لا يستعملون المجاز الا ضرورة عند الحاجة اليه لأنَّ استعمالهُ لغير ضرورة عيبٌ لا فضيلة. وذلك ان الكلام كلَّهُ على ضربَين (٨٠) حقيقة ومجاز. فاذا كان حقيقةً كانت فيه كلفةٌ على المتكلم وسهولةٌ على السامع. لأنَّ الكلام اذا كان حقيقةً لا يلتبس واذا كان مجازاً كان سهلاً على المتكلم مشتبهاً على السامع لأنَّ اللَّبس لا يقع في الكلام اذا كان حقيقةً وانَّما يقع فيه اذا كان مجازاً. فلذلك ليس ترى استعمال المجاز الَّا لضرورة كما نستعملهُ في قولنا: « سخط الله ورضي وسمع وابصر » وما شاكل ذلك ممَّا نوردهُ مجازاً اذ ليس يمكننا استعمالهُ حقيقةً. واما استعمال المجاز حيث يمكن استعمال الحقيقة فهو عندنا عيبٌ وعجزٌ من المتكلم •

قال الوزير: لو كان المجاز عيباً لما كان اكثر القرآن مجازاً

قلتُ: أسأل الوزير أيده الله ان يُعفيني من الكلام في مجاز القرآن

قال الوزير: انه من المعلوم انّ لغة العرب اوسع من سائر اللغات

قلتُ: وما الدليل على ذلك؟

قال: الدليل على ذلك انا نجد لشيء واحد عند العرب اسماء كثيرة وليس عند السريانيين ولا عند غيرهم الّا اسم واحد للشيء وربّما لم يكن لهُ عندهم اسم اصلا (٨١)

قلتُ: امّا الاشياء التي لها عند العرب اسماء كثيرة فهي الاشياء التي يستعملونها كثيراً ويشاهدونها دائماً مثل السيف والفرس والجمل والاسد والحمار وما شاكل ذلك. واقوى الاسباب في كثرة اسماء هذه الاشياء عندهم هو كثرة طوائف العرب والاختلاف لغاتهم. ولجميع هذه الاشياء اسماء عند السريانيين وربّما كان للشيء الواحد اسماء كثيرة عندهم حسب اختلاف البلدان واللغات. واما القول بانّ عند العرب اشياء ليس لها اسماء عند السريانيين فُنكر اذ ليس عند العرب شيء لهُ عندهم اسم يكون اسمهُ خالياً عند السريانيين. وانما اسماء الاشياء السخيفة القبيحة التي يستهجن الانسان ذكرها فانها في لغة العرب كثيرة الاسماء وفي لغة السريانيين قليلة حسباً ذكرهُ حنين بن اسحاق في كتابهِ الموسوم بكتاب النُقَط اعني نقط الكتب.

• ومما يدلّ على انّ لغة العرب ليست اوسع من غيرها انّ عند السريانيين والروم والفرس اسماء كثيرة مفيدة ليس لها عند العرب اسم من ذلك العقاقير والادوية والآلات وغير ذلك (٨٢) من الاشياء المستعملة فانّ اسماءها عند السريانيين والروم والفرس موجودة وعند العرب معدومة. والدليل على ذلك انّا نجد في كتب الطب والطبخ وغير ذلك من الكتب المنقولة الى العربي اسماء كثيرة قد أُخرجت اليهم بلغة السريانيين واليونانيين والفرس اذ لم يوجد لها عند العرب اسماء تُسمَّى بها. ولو نُقل الى السريانية كتاب من كتب العرب لما كانت فيه لفظة يتعذر وجود نظيرها عند السريانيين. واذا كان الامر على هذا فليس لغة العرب باوسع من لغة السريانيين •

*

قال الوزير: وكيف الخطّ السرياني من الخطّ العربيّ في الحسن والصحّة والفائدة

قلتُ: «الخط السرياني اوضح واكثر فائدة من الخط العربي»

قال الوزير: وكيف ذلك؟

قلتُ: «لأنّ الحروف السريانية غير منقّطة وغير متشابهة. والحروف العربية كثيرة التنقيط ومتشابهة (٨٣) كتشابه الباء والتاء والنون والياء. والجيم والحاء والخاء. والدال والذال. والراء والزاي. والسين والشين. والصاد والضاد. والطاء والظاء. والعين والغين. والفاء والقاف. وفي كثرة التنقيط كلفة على الكاتب ولَبس على القارئ. وتشابُهُ الحروف مُشكِل حتى ان في القرآن وهو محفوظ بالدرس ومشكول ومضبوط خلفاً كثيراً بين القرّاء بسبب إشكال النقط وتشابه الحروف. ومن ذلك في سورة البقرة (ع ٢٦١) قوله: وانظرْ الى العظام كيف نُنشِزُها» فقرأها قومٌ بالدال وقومٌ بالراء. وفي سورة طه (ع: ٩٦): «لم يَبصُروا به» قرأها قومٌ بالتاء «لم تبصروا». وفي سورة الانبياء من داود (ع ٨٠): «وعلّمناهُ صنعةَ لَبوسٍ لكم لِتُحصِنَكُم» فقرأها قومٌ بالياء «لِيُحصِنَكم» وآخرون بالنون «لِنُحصِنَكُم». وفي سورة الحجّ (ع ٦١): «يَدعُون من دونه» قرأها قومٌ بالتاء «تدعون» ومثل هذا في القرآن كثير اختلف فيه القرّاء. ومعلوم انهُ لو كانت هذه الحروف غير متشابهة (٨٤) لمَا وقع هذا الخلف في القرآن

وقد اتّفق في المكاتبات بين الناس لاجل تشابه الحروف ما يتجاوز عددهُ الوصف كقولهم: «اقبلوا القوم» و «اقتلوا القوم» وما شاكل ذلك ما لا يُحصى ولا يُعَدّ

وممّا يدلُّ على انَّ الذين استخرجوا الخط العربي لم يُحكموا الامر في تشكيل الحروف ولا في تسميتها هو انهم سمّوا اكثر الحروف المتشابهة باسماء متشابهة في الخط وذلك مثل الباء والتاء والثاء. فانَّ هذه الحروف اذا كُتبت كانت اشكالها متشابهة ايضاً. وكذلك الحاء والخاء. وبقية الحروف السابق ذكرها وكلُّها مما يلتبس اسمها وكتابها. واذا كتب الكاتب لفظةً فيها حرف من هذه الحروف المتشابهة واراد ان يبيّنهُ ثنّى بذكرهِ ورقمهِ مصغّراً تحت الحرف المشبه لكنَّ تلك الثنية لرسم الحرف لا تفيد كثيراً لتشابه الحرفين. وكذلك تشابه اسم الحرف باسم الحرف الذي يشبههُ مثال ذلك ان يكتب (٨٥) الكاتب «نقصت» ثم يتبعهُ بقولهِ «بالصاد لا بالضاد» فليس يفيد قولهُ غير إعادة اللفظة. ولو كان اسم الصاد لا يشبه اسم الضاد لكان لقولهِ

فائدة بيّنة. وعلى هذا القياس يجري الامر في سائر الحروف المتشابهة. وهذا التباس لا يدخل مثلهُ في خط السريانيين»

قال الوزير: فهل حروف السريانيين تتصل بعضها ببعض كما تتصل حروف العرب؟

قلتُ. نعم. فيها ما يتّصل وفيها ما لا يتّصل لكن لا فائدة في اتصالها ولاضرورة في تفريقها

قال الوزير: وكيف ليس فائدة في اتصالها وهو احسن للخط واسرع في الكتابة وأبين للقارئ؟

قلتُ: ليس في اتصال الحروف ما يحسّن الخطّ ولا ما يُعين على سرعة الكتابة ولا ما يزيد في البيان (٨٦). وذلك انهُ قد يتّفق في الخط العربيّ الفاظ كثيرة مركّبة من حروف مقطّعة اذا أُلّف منها كلام وكُتب يوجد الخط فيه مساوياً للخطّ المتّصل الحروف في الحسن والسرعة وهو أبينُ للقارئ واوفق للضبط والشكل

«وقد كان جرى لرجل روميّ كان يكتب بالعربيّة مع بعض المسلمين مشاجرة في هذا المعنى فاستخرج فصولًا بالعربيّة مؤلّفة من الفاظ مركّبة من حروف مقطّعة فبيّن انّ لا فائدة في اتصال الحروف ولا ضرورة في تفريقها. ومن جملة ما اورد هذا الفصل: «ورد داود الازرق واوّل ورده لازمَ دَرْبَ داذان الازدي وزدع اوض زردق ارزًّا وروض لاون وردًا»

فمعلوم انهُ اذا كُتب هذا الكلام وما يجري مجراهُ ممّا هو مؤلّف من حروف مقطّعة (٨٧) كان الخط فيه مساوياً للخط المتّصل الحروف في الحسن والسرعة وهو أبين للقارئ واوفق للضبط والشكل منهُ. وبالعكس لو كتب الكاتب «جبيخل» وهو اسم اعجميّ متّصل الحروف مركّب من جيم وباء وياء وخاء ولام. فليس يتمكّن الكاتب من نَقْطِهِ وشكلهِ وهو متصل الحروف كما يتمكن من نَقْطِهِ وشكلهِ لو كان متفرّق الحروف. وكذلك «سَجَعَ وسَخَجَ وشَخَجَ. وحَجَرَ وجَحَرَ وخَجَرَ» ومثل ذلك ممّا لا يُحصى ممّا لا يقع التمكين من نَقْطِهِ وشكلهِ اذا كان متفرّق الحروف. فاذا كان الامر على ما ذكرتُ فليس للخط العربي فضيلة على الخط السرياني ولا في اتصال الحروف فائدة. وان كان في اتصالها فائدة فالخط العربي والسرياني مشتركان فيه

*

فقال الوزير: فكيف علمُ كلام النصارى من علم كلام المسلمين ؟(٨٨)

قلتُ: « انَّ علم الكلام عند النصارى أبين وأوضح وأصحّ منهُ عند المسلمين لأنهُ مبنيٌّ على مقتضى شرعهم وموجب كتابهم وليس يوافقهم على اصولهِ وحدودهِ الّا من يوافقهم على المذهب. وكلام النصارى هو علم المنطق وهو مبنيٌّ على مقتضى العقل واصول القياس فليس يخالفهم فيهِ احد لأنهُ يجري مجرى الحساب الذي لا خلف فيهِ عند سائر اهل الملل. ولذلك ترى درسهُ ونصرة دينهم منهُ ومن استعمالهم قوانينهُ في مناظرة مخالفيهم

قال الوزير: انَّ المسلمين يرون ان درس علم المنطق وغيره من العلوم الفلسفية كفرٌ وإلحاد حتى انهم يعتقدون فيمن يطّلع فيها انهُ زنديق

قلتُ: «لا شك في ان اعظمَ مواهب الله تعالى على العبد موهبةُ العقل. وعلمُ المنطق مما يهذّب العقل. فكل شرعٍ ينفي علم المنطق هو مضادٌّ للعقل. ويلزم من يعتقد انَّ المنطق مضادٌّ للدين اقامته الدليل على انهُ ضدّ العقل ليصح قولهُ انهُ ضد الدين والدين لا يصحُّ ألا بصحة العقل(٨٩). وهذا مما لا يتعاطاهُ احد ممن يطلبون علم المنطق ولا ادّعاهُ. ونرى جميع المسلمين رحمهم الله يذمّون هذا العلم وقد كان فيهم علماء درسوهُ طمعاً في نقضهِ ولم يتمكن احد من ذلك »

قال الوزير: انَّ المسلمين لم يمنعوا من درس المنطق والعلوم العقلية. ولا يعتقدون انها تضادّ العقل وانما منعوا منها لأن الاشتغال بها يقطع عن النظر في العلوم الشرعيَّة

قلتُ: انَّ الاشتغال بجمع المال وطلب الرئاسة والمنازل العالية والحرصُ بالاكل والشرب والجماع يقطع عن النظر في العلوم الشرعيَّة اكثر مما يقطعهُ الاشتغال في العلوم العقليَّة. فكان يجب على المسلمين رحمهم الله ان يزهدوا في جمع المال وطلب الرئاسة والمنازل العالية والاكل والشرب وسائر الشهوات الجسديَّة اكثر من تزهيدهم بدرس العلوم العقليَّة(٩٠) اذا كان قصدهم في التزهيد بالعلوم العقليَّة التوفّر على العلوم الشرعيَّة لأنَّ الشهوات الجسديَّة اعني محبَّة العزّ والرئاسة والمال والجماع تبعث على الظلم والغشم والتغلّب والعلوم العقليَّة تبعث على العدل واتباع الحق والتمسك بالشرع. واذا كان الامر على هذا فدرس كتب المنطق محمود غير مذموم »

قال الوزير: انّ لهذا القول وما تقدّمهُ من القول في النحو اجوبةً ليس يتَّسع المجال لذكرها على انك واللهِ ما تعدَّيتَ فيما اوردتَهُ في هذه العلوم ولا علمتُ انَّ للنصارى مثلها

وانقضى المجلس بحسن الفصل السادس ولله المنّة وخالص الشكر

(التتمّة في العدد الآتي)

المخطوطات العربيَّة لكتَبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٧٨ ﴿اده﴾ الياس بن يوسف الشاعر المتوفّى سنة ١٨٢٨ (اطلب ترجمتهُ في المشرق (٢ [١٨٩٩] : ٦٩٣و٧٣٦) : لهُ مجموعة اخبار واشعار في ٣٣٥ صفحة عند الخواجا جاماتي في عينطوره تاريخها سنة ١٢٤٧هـ (١٨٣١). نشرنا ما وجدنا من شعره

٧٩ ﴿اده﴾ الاب جبرائيل اليسوعي الماروني المتوفّى في ٧ آب ١٩١٤ هو مؤلف كتاب القواعد الجليّة في علم العربيَّة في جزئين . لهُ في كليّتنا من المخطوطات روايات تمثيلية منها رواية القديس جرجس وبعض محاضرات

٨٠ ﴿ارجنتان﴾ لويس فرنسوا دي لرجنتان راهب كبوشي ازهر في اواسط القرن التاسع عشر . لهُ المخاطبات اللاهوتيَّة الروحانيَّة على عظائم سيّدنا يسوع المسيح وهي ١٥ مخاطبة في مدة فصول من كمالات السيّد المسيح نقلها الى العربيَّة الاب يوسف دي روبلي (J. de Reuilly) المرسل الكبوشي في مدينة حلب . منهُ نسخة عند الآباء الكبوشيين في بيروت وفي مكتبة الشماس نقولا أيوب في حلب تاريخها سنة ١٧٢١ . ونسخة في مكتبتنا الشرقيَّة كتبها الخوري عبدالله كديد سنة ١٨٥٣ . وقد وقفنا للاب دي لرجنتان على كتاب مخطوط في جزئين عنوانهُ مخاطبات في كتاب علم اللاهوت يشبه الكتاب السابق وقد ورد في مقدّمتهِ انهُ قد عرّبهُ من الافرنسيَّة البادري القبريوس (كذا) من الرهبنة الكبوجيَّة سنة ١٧٨٤

٨١ ﴿ارجنتي﴾ هو كير اوسطراتوس ارجنتي الطبيب من اهل القرن الثامن عشر الساقزي له في مكتبة الروم الكاثوليك في حلب وفي مكتبة الموارنة فيها ايضاً (ع ٣٢٢) كتاب الشاء الربّاني عرّبهُ عن اليونانيّة القس مسعد الدمشقيّ سنة ١٧٤٧ وفيه يحاول ان يثبت ان السيّد المسيح حوّل الى جسدهِ في العشاء السرّي الخبز الخمير لا الفطير . وقد فنّد حضرة الاب انطون صالحاني هذا الرأي في مقالته عن استعمال الفطير والخمير (الشرق ١ [١٨٩٨] : ٧٧ و ١٠٨)

٨٢ ﴿اركنجلو﴾ هو الاب الكبوشي اركنجلو الكوتريزي (كذا) له في مكتبة الرهبان الروم الكاثوليك الحلبيين في دير الشير • كتاب في الايمان • ١٠ أمّا المؤلف فلا نعلم من امرهِ شيئاً لعلّهُ الاب اركنجلو المذكور في كتاب الآثار النصرانيّة الذي ألّفهُ المرحوم الاب انطون ربّاط (ج ١ ص٣٩٨–٣٩٩)

٨٣ ﴿ارنودي﴾ الاب بطرس ارنودي (P. Arnoudie) اليسوعي المتوفّى شهيد محبّتهِ في خدمة المطعونين في حلب في ١٩ حزيران سنة ١٧١٩ . له في مكتبة الموارنة في حلب كتاب الدرّ المنثور في تفسير الزبور في ستّة مجلّدات(ع٢٧) . وهذا الكتاب ألّفهُ الاب ارنودي ونقّح عربيّتهُ عبدالله زاخر وقد طبع في المطبعة المخلصيّة في بيروت في ثلثة مجلّدات سنة١٨٦٨–١٨٦٩) . وللاب ارنودي ايضاً كتاب تفسير سبعة مزامير التوبة اصلح ايضاً عربيّتهُ عبدالله زاخر وقد طُبع في الشوير سنة ١٧٥٣

٨٤ ﴿اروتين﴾ القس يعقوب الحلبي والراهب اللبنانيّ عاش في اواخر القرن الثامن عشر . عرّب كتاب علم اللاهوت النظري ليوحنا كلوديوس فيرتوريو (J. Cl. de Vertrieu) لسقف بواتيه في فرنسة المتوفّى سنة ١٧٣٢ . وهذا الكتاب ١٦ جزءاً في عدّة مجلّدات . منهُ نسخٌ خطّيّة في مكتبتنا الشرقيّة وفي حلب في مكتبة الموارنة ومكتبة الشمّاس شكري أيوب (تاريخ كتابتهِ سنة ١٧٨٥ و١٧٨٦) . وللقس يعقوب ايضاً تعريب التعليم المسيحي الروماني المؤلف بامر المجمع التريدنتيني المعروف بكاتيكزمو رومانو طُبع بالعربيّة بامر البابا بيوس السادس في مطبعة انتشار الايمان في جزئين سنة (١٧٨٦ و١٧٨٧) . وقد صحّح تعريبهُ الخوري ديونيسيوس حجّار . وهذا التعليم هو الذي اعاد فيهِ النظر الخوري يوسف البستاني فجدّد طبعهُ في المطبعة العمومية سنة ١٨٩١

٨٥ ﴿ ازرق ﴾ الخوري ميخائيل رئيس دير الشرفة المتوفى في ١٣ ت ٢ ١٨٨٦ (اطلب المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٥٨٠) . له في مكتبة دير الشرفة قاموس سرياني عربي في مجلدين

٨٦ ﴿ الازرملي ﴾ بولس داود بن موسى صونسيوس الازرملي العبراني نسباً المسيحي مذهباً . كان في النصف الثاني من القرن الثامن عشر . ألف كتاباً يُدعى نور الالباب الهادي الى الصواب في ١٢ باباً يرد فيه على اليهود . وفي مقدمته يخبر عن تنصّره في السنة ١٧٥٩ اذ كان عمره ٣٤ سنة . من هذا الكتاب عدة نسخ منها واحدة في مكتبة حضرة الخورفسقفوس جرجس شلحت في حلب . ونسخة في بيت الشماس شكري أيوب تاريخها سنة ١٧٨٧ . ونسخة ثالثة في بيت المرحوم حنّا العوراء في بيروت

٨٧ ﴿ استاف ﴾ الاب سليمان اليسوعي (P. Reymond Estève) المتوفى في ١٠ ك ١ ١٨٧٣ المرسل في سورية . له عدة رسائل في احوال سورية الدينية . وقد ذكر له الاب لويس أبوجي كتاباً في شرح رؤيا القديس يوحنا الحبيب (L. de Vals. *Avril*, 1874)

٨٨ ﴿ استراتن ﴾ من الاخوة الصغار من الرهبانية الفرنسيسية . لم نقف على شيء من اخباره . ورد له في مكتبة الموارنة في حلب مع كتاب لاهوت ابن القلاعي (المشرق ١٧ [١٩١٤] : ٣٥٦) خمس وخمسون مقالة من كتاب الناموس الجامع عن الامانة الارثذكسية واركانها الثابتة بالله

٨٩ ﴿ استفانوس ايانوسكي ﴾ رئيس اساقفة اوريانوكي ومودوسكي من كتبة القرن الثامن عشر . وجدنا له في مكتبة الثلثة الاقمار في بيروت (ع ٣٣٧) رداً على البروتستانت تحت هذا العنوان: كتاب البراهين السديدة ضد الآراء البروتستانية الجديدة مباشرة بسر القربان . ونظرنا له ايضاً في مكتبة المرحوم الخوري توما أيوب كتاب ملخص صخرة الايمان ترجمة عن اللاتينية مكاريوس متروبوليت ديار بكر سنة ١٨٥٢ . وفحوى الكتاب رد على البدع ألفه صاحبه سنة ١٧٢٧

٩٠ ﴿ اسحاق الانطاكي ﴾ هو مار اسحاق الكبير المعروف بالسوري او الناسك ازهر في القسم الاول من القرن الخامس وتوفي نحو السنة ٤٦٠ . له تآليف

عديدة بالسريانيّة معظمها بالشعر . نشر منها قسماً كبيراً الدكتور بيكل النمساوي والكاهن الفرنساوي حنّا شابو والابيولس بيجان اللعازري . امّا ما يُعرف منهُ بالعربيّة فالتآليف الآتية : ١ً كتاب الميامر والمواعظ في السيرة النسكيّة عدّتها ٥٢ ميمراً ذكرهُ ابو البركات في قائمته ودعاهُ تلميذ مار افرام (Riedel, p. 674) وصرّح بانّ معرب الميامر هو الشمّاس عبدالله بن الفضل الانطاكي . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة . وفي مكتبة الموارنة في حلب (ع ٣٦٦) وفي مكتبة القبر المقدّس في القدس تاريخها سنة ٧٠٧٥ لآدم (١٥٦٧ م . ٢ً وقد روينا لهُ في المشرق (١٧ [١٩١٤] : ٢٧٣ — ٢٧٧) ميمراً لعيد بشارة العذراء . ٣ً وفي احد مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة بعد نسكيّات مار باسيليوس والانبا مكاريوس « مسائل سألها بعض الحبساء القدماء وهو القديس مار سمعان العمودي في مبادئ امره من القديس المعلم النفيس ماري اسحاق فكتب الجواب عنها » (ص ١٢٠—١٦٠) وهي خمسة اسئلة في الامور الروحيّة

٩٤ ﴿ اسحاق النينوي ﴾ هو مار اسحاق اسقف نينوى النسطوري الذي ترك الاسقفيّة وتنسّك ومات في ديور ربّان شابور في القرن السابع (اطلب ترجمتهُ في المشرق ١٢ [١٩٠٩] : ٢١٥—٢٢٠) . لـهُ بالسريانيّة سبعة تآليف نشر منها الاب بولس بيجان كتابهُ في الطريقة الرهبانيّة . امّا تآليفهُ المحفوظة في الترجمة العربيّة فهي الآتية : ١ً مجموعة ميامر في السيرة النسكيّة . منها نسخة قديمة على رقّ في مكتبة دير الشرفة تاريخها سنة ١١٩٥ للشهداء (١٤٨١م) وصفها في المشرق (١٢ : ٢١٩—٢٢٠) حضرة الاب اسحاق ارملة . ونسخة اخرى في المكتبة الفاتيكان وصفها السمعاني في المكتبة الشرقيّة (١ : ٤٤٦) . ونسخة ثالثة في مكتبة اليعاقبة في القدس الشريف . ثمّ في مكتبة الكلدان في ماردين على رقّ . وفي دير اللويزة سابقاً وفي مكتبة البلمند . ٢ً ولهُ في مكتبة الموارنة (ع ٣٤٧) كتاب الطبّ الروحاني في ٤٧ فصلاً تعريب ابن الفضل الانطاكي . ٣ً وفي مكتبتنا الشرقيّة رسائل وميامر لمار اسحاق النينوي اولها رسالة الى اخيه الراهب (اطلب المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٧٥٩) . ولـهُ ميامر اخرى متفرقة في مجاميع مكتبتنا الشرقيّة ومكتبة باريس والفاتيكان . ولا بُدّ من تنبيه القرّاء على انّ الكتبة يخلطون مراراً اسحاق الانطاكي باسحاق النينوي فينسبون الى الواحد اعمال الآخر . وعلى رأي يعقوب الرهاوي انّهُ وُجد ثلاثة اشخاص باسم اسحاق نُسبت

اليهم تآليف بعضهم وخصوصاً تآليفهم النسكيّة

٩٢ ﴿اسحاق بن جبير﴾ هو المرتدّ عن اليعقوبيّة مطران آمد طيموثاوس والمفريان باسيليوس بن جبير الموصلي (١٦٢٩–١٨ أيار ١٧٢١). اطلب ترجمتهُ في المشرق (١١ [١٩٠٨] : ٢٨٦–٢٩١): لهُ ١ً تعريب الخلاصة اللاهوتيّة لمار توما الاكويني في اربعة مجلّدات. وجدنا منهُ نسخة في مكتبة الموارنة في حلب. وفي مكتبة مدرسة عين تراز وفي مكتبة دير الشير (اطلب المشرق ١١ : ٣٦٦–٣٧٩) ومجلّدات متفرّقة في بعض المكاتب وفي مكتبتنا الشرقيّة. ومنهُ مختصر في دير الشرفة. ٢ً ترجمة فلسفة ارسطو ومقالات اخرى فلسفيّة معرّبة عن اللاتينيّة لشارحها المعلّم بطرس باربي الباريسي. منها نسخة في مكتبة الموارنة في حلب (ع ١٨٠) اخرجهُ في رومية في عهد البابا اقليمنضوس الحادي عشر. ٣ً كتاب مدرك النجاة ومحجّة الفوز بالحياة فنّد فيهِ اضاليل الياعقبة. منهُ نسخة في مكتبة دير الشرفة ونسخة حسنة في مكتبتنا الشرقيّة. ٤ً مواعظ مختلفة لكل الاعياد في عدد ١٥٠ موعظة دعاها كتاب الطلل لدفع الملل. منهُ نسخة في مكتبة الفاتيكان (ع ٦٨١) وفي مكتبة الموارنة في حلب (ع ٨٥) وفي دير الزعفران بالكرشوني. ٥ً كتاب في الاسرار السبعة ووصايا الله تاريخهُ سنة ١٨٠٢م. (كان في مكتبة سعرد قبل ان ينهبها الاتراك). ٦ً كتاب الزهريّة في التلاوة الشهريّة لذوي الاشغال وتدبير العيال صنّفهُ في رومية سنة ١٧١٦. منهُ نسخة في مكتبة الموارنة في حلب في آخر كتاب الطلل. ٧ً كتاب الردّ على اعتراضات كوركيس الاوّل بطريرك الياعقبة في السنة ١٦٦٢ منهُ نسخة في مكتبة دير الشرفة. هذا ما عدا تآليفهُ السريانيّة احدها ترجمة كتاب الاقتداء بالمسيح (في رومية وفي مكتبتنا الشرقيّة) وغراماطيق سرياني (في مكتبة دير الشرفة وفي مكتبتنا الشرقيّة)

٩٣ ﴿اسحاق بن حنين﴾ ابو يعقوب العباديّ النسطوري توفّي سنة ٢٩٨ او ٢٩٩ هـ (٩١٠–٩١١م). اطلب ترجمتهُ ولائحة تآليفهِ في فهرست ابن النديم (ص ٢٧٥) وفي تراجم ابن خلكان (ص ٩٧) وفي طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة (١ : ٢٠٠) وفي المجلّة الاسيويّة الالمانيّة (ZDMG, L, 393). الباقي من تآليفهِ العديدة تعريبهُ لمقولات ارسطاطاليس (طُبع في ليبسيك سنة ١٨٤٦). وكتابهُ في الادوية المفردة الذي نقلهُ الى اللاتينيّة نقولا الدمشقي (طُبع سنة ١٨٤١). ومن مخطوطاتهِ في احد

مجاميع المكتبة الفاتيكانيَّة تعريبةُ لوصيَّة افلاطون التي نشرناها في المشرق (اطلب مجموعنا مقالات فلسفيَّة قديمة ص ٥٢) . ولهُ في مجموع مقالات في الطبيعيَّات مطبوع على الحجر في الهند تعريب كتاب المطيَّات لاوقليدوس (ص ١٢٣—١٥٢)

٩٤ ﴿اسرائيل﴾ اسقف كشكر النسطوري. عُرف رجلان بهذا الاسم تسقَّف كلاهما على كشكر كان الاوَّل في اواسط القرن التاسع (راجع تاريخ عمرو بن متَّى ص٧٣—٧٤) . والثاني توفّي بعد ان صار جاثليقاً مدَّة ثلثة اشهر بنيّف سنة ٩٦٠م . والظاهر ان الكاتب هو هذا الثاني (Graf : *Christ.-arab.* Liter. p. 38) ذكر لهُ ابو بركات في قائمتهِ (Riedel, p. 652) كتاباً في اصول الديانة . وقد روى لهُ ابن العسَّال في كتابهِ اصول الدين مقالة حسنة في شريعة العدل وشريعة الفضل (ص ١٠٦—١١٠ من نسخة مكتبتنا الشرقيَّة)

٩٥ ﴿اسطفان﴾ الشمَّاس الملكيّ كان في اواسط القرن السادس عشر . لهُ في المكتبة الفاتيكانيَّة كتاب يدحض فيهِ اضاليل الاقباط في ٣٥ فصلًا تاريخهُ سنة ١٥٤٣م

٩٦ ﴿اسكندر﴾ القس اندراوس القبرسي المارونيّ احد تلامذة مدرسة الموارنة في رومية ومعلم اللغات الشرقية فيها . توفي نحو السنة ١٧٥٠م (اطلب ترجمتهُ في الجامع المفصَّل في تاريخ الموارنة المؤصَّل للمطران يوسف الدبس ص ٤٦٩) . لهُ ١ً كتاب الطبّ الروحاني في ١٤ فصلًا يحتوي الادوية لشفاء الخطايا الروسية كتبهُ سنة ١٧٤١ . في مكتبة الموارنة في حلب (ع٣٩٩) . ٢ً تعريبهُ لكتاب محبَّة يسوع سنة ١٧٣٧ . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة . ولهُ ٣ً مقدّمات علقها على كتاب القداس الماروني المطبوع سنة ١٧١٧ في رومية

٩٧ ﴿اشعيا﴾ القديس الناسك . عاش في القرن الرابع للمسيح (اطلب ترجمتهُ في المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٨٤) لهُ وصايا وتعاليم روحيَّة في كتاب البستان في احاديث الرهبان (ص ١٠٢ و١٢٣ من نسخة مكتبتنا الشرقيَّة) . وكذلك في كتاب آخر من مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة يحتوي على ميامر وتعاليم قدّيسين « قوانين القديس اشعيا وضعها للشبَّان المبتدئين في الرهبانيَّة » (٤١٠—٤٣٥)

٩٨ ﴿أصلان الآمدي﴾ مطران آمد اليعقوبيّ المتوفَّى سنة ١٧٤١ . لهُ في

مكتبة دير الزعفران قرب ماردين : ١° تعريب كتاب بركيفا في تفسير الاسرار ٠ ٢° تعريب كتاب التاولوغيا للمفريان شمعون المنعمي ٠ ٣° ولهُ مواعظ عربيّة

٩٩ ﴿ اغابيوس القريطشي ﴾ هو اثناسيوس لنـدوس ثم الراهب اغابيوس المترهد في جبل آثوس والمتوفى في البندقيّة سنة ١٦٦٤ ٠ لهُ في اليونانيّة الحديثة عدّة كتب اطلب وصفها في معجم التاريخ والجغرافية الكنسيّين (Dict. d'Hist. et de Géogr. eccl. I, 895) ٠ وممّا نُقل منها الى العربيّة الكتب الآتية : ١° كتاب خلاص الخطأة (Ἁμαρτωλῶν σωτηρία) في ٣ اجزاء و ٣٨ رأساً في بيان علل النفس وشفائها وفي ممارسة الفضائل ٠ نقلهُ الى العربية الخوري يوسف المصوّر الحلبي سنة ١٦٠٢ ٠ منهُ عدة نسخ في مكتبة باريس (Paris. n° 223) وفي مكتبة المارونة في حلب (ع ٧٠) ٠ ومنهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة وقد طُبع هذا الكتاب في مطبعة القبر المقدّس في اورشليم ٠ ٢° كتاب الفرائد اللطاف في سرّ الاعتراف ٠ عرّبهُ ايضاً الخوري يوسف صادر ٠ منهُ نسخة في دير الآباء الكبوشيين في بيروت ٠ ٣° كتاب عجائب العذراء يحتوي ٦٨ اعجوبة ٠ اخرجهُ الى العربيّة مكاريوس الانطاكي ٠ منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة تاريخها سنة ١٧٠٨ (ص ٣٣٠)

١٠٠ ﴿ اغابيوس المنبجي ﴾ ويدعى ايضاً محبوب بن قسطنطين اسقف منبج الروميّ الملكيّ ٠ كان في القرن العاشر للميلاد ٠ لهُ تاريخ عربي من اوّل الخليقة الى زمانهِ ٠ دعاهُ كتاب العنوان الكامل بفضائل الحكمة ارسلهُ الى رجل اسمهُ عيسى ابن حسين ٠ والكتاب في قسمين القسم الاوّل منهُ نسخة في مكتبة اوكسفرد وفي دير الشرفة ونسختان في مكتبتنا الشرقيّة ٠ امّا القسم الثاني فلا تُعرف منهُ الّا نسخة وحيدة في مكتبة فلورنسة وآخرها ناقص تنتهي بخلافة المهدي العباسي ٠ وهذا الكتاب قد عُنينا بنشرهِ في مطبعتنا الكاثوليكيّة سنة ١٩١٠ — ١٩١٢ في مجموعة الكتبة النصارى الشرقيّين ٠ ونشرهُ ايضاً في باريس المستشرق الروسيّ فاسيلاف مع ترجمة فرنسويّة في السنة ذاتها ٠

١٠٢ ﴿ اغابيوس مطر ﴾ هو اغابيوس الثالث بطريرك الروم الكاثوليك المتوفّى في عين تراز في ٢١ ك ٢ ١٨١٢ ٠ لهُ في مكتبة الآباء البيض في الصلاحية في القدس كتابات شتّى ومناشير (Or. Chr. 1914², p. 327) ٠ وهو الذي جمع مجمع دير

القرقفة الذي امرت رومية باتلافهِ لآرائهِ الجنسنيَّة

١٠٢ ﴿إغاتن﴾ مطران حمص. لا يُعرف زمانهُ . ذكر لهُ ابو البركات في لانحتهِ (Riedel, p. 659) كتاب ايضاح الايمان وسرّ الكهنوت. لم نعثر عليهِ في المكاتب

١٠٣ ﴿أغريضا﴾ الراهبة ماري دغريدا الاسبانيَّة (Marie d'Agréda) (١٦٠٢—١٦٦٥) من رهبانيَّة مار فرنسيس. اشتهرت بكتابتها لسيرة السيّدة البتول مريم العذراء الموحاة لها. من هذا الكتاب نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة تاريخ الواحدة سنة ١٧٣٠ والثانية ١٨٥٩. عنوانهُ كتاب مدينة الله السرّيَّة وعجيبة قوَّة الله الكليَّة. يتضمَّن قصة مريم العذراء ... للراهبة مريم من قرية اغريضا ترجمهُ من الاسبانيَّة البادري رافائيل اللبّ ونتبول من رهبان القديس فرنسيس المدعوين سرفنتين (Observantin). ومنهُ ايضاً نسخة في مكتبة الأديبين نقولا افندي أيوب والشمّاس شكري أيوب في حلب . ولها في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٤٢٨) « رياضات روحيَّة استعملتها العابدة مريم من يسوع دي اغريضا رئيسة دير اغريضا تحت قانون مار فرنسيس في اسبانية » (لهُ صلة)

لخميس الاسرار

خمريَّة القس ارسانيوس الفاخوري

(نقلاً عن ديوانهِ المخطوط)

من قرقفٍ عاطى المُديرُ كؤوسَها شرباً فطابوا بالشرابِ نفوسا
ثم وحَّدوا ثم هلَّلوا كم كبَّروا لمَّا أراهم في البدور شموسا
ولقد رماهم في التصابي والهوى اذ زفَّ بكراً بالجلاء عروسا
شبَّت بهم نارُ الجوى في حبِّها وبحبِّها كان الجنانُ وطيسا
والى الوصالِ تهيَّجت اشواقُهم يترقَّبون وصالها المأنوسا
يروي الرواةُ حديثَ مُبدع سرِّها ولذكرها يحني الرُّواةُ رؤوسا
ويُعنعنون حديثهم في شأنها حتَّى الى نوحٍ وكان رئيسا

فهي النزالةُ والحُبابُ نجومُها   بالمزج فالمكلومُ منها يُوسَى
ان ذرَّ ليلًا قرنُها ينأى الدُّجى   وتنفى سناها الهمُّ والتعيسا
بل كلُّ ذي نور يُكرّمُ نورَها   ولذا ترى كلَّ النجوم مجوسا
وهُمُ لاهل الدير فيها هنأوا   حسدوا بها الشمَّاسَ والقسيسا
ودماً لهُ الربُّ المسيحُ اختارَها   منهُ لها قد حازتِ التقديسا
ليلَ العشا السرّيِّ بارك كأسها   فالشُربُ منها يرحضُ التدنيسا
وسقى التلاميذَ الذين اختارهم   مستمشاً اجسادهم ونفوسا
وبها تساموا رتبةً وجلالةً   وبها غدا ذاك الخميسُ نفيسا
دارت بها الرسلُ الكرام بنشطةٍ   يجلون في كل الجهات كؤوسا
قد عيَّنوا لجلالها وزفافها   ابداً اساقفةً لها وقسوسا
فيباركون مقدَّسين كؤوسها   يتلون آياتٍ تلاها عيسى
لله راحٌ قد سمَتْ فشُديُها   كانَ المسيح المقتدى القدُّوسا
والخبزُ صيَّرهُ لهُ جسداً وبا م   لأعراض كلٌّ قد غدا محسوسا
لكن يكون الربُّ في الشكلين مو   جوداً غذاء مانحاً تقديسا
في كل شكلٍ منهما هو كاملٌ   ومن الورى بهما يُرى ملموسا
وبكل جزء منهما ايضاً كذا   بالحُبِّ اضحى للنفوس عروسا
قال: اصنعوا هذا لذكري ذا لكم   عهدٌ جديدٌ يُبطلُ الناموسا
الحبرُ ملكيصاذَقٌ ابدى لنا   رسماً يدلُّ عليها مأنوساً
يا خمرةً سار الركابُ بذكرها   وحُداتهم سيراً اذلُّوا العيسا
جابوا الفيافي والعراء وما هُوَوا   قيلولةً فيها ولا التعريسا
وبكلِّ ارض قد طوَوا في نشرها   حتى ملوا كلَّ الجهات شموسا
في الشرق كان شروقُها وامتدَّ في   كل الدُّنى وغدا الغروبُ حبيسا
تهدي الى سُبل الهدى اولوها   فهي التي قِدماً رآها موسى
يا خمرةً قدسيَّةً فيها الشِفا   ويعودُ حياً مَن غدا مرموسا
فيها القداسةُ والنجا لمُحبِّها   يُضحي سعيداً من يكون تعيسا
فالشكر للربِّ المسيح إلهنا   ذاكَ الذي منها ادار كؤوسا

٣٠

تنّين القديس جرجس

بنسبة عيده في ٢٣ نيسان

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

لَّا كتبنا في المشرق (٦ [١٩٠٣]: ٣٧٥–٣٩٩) مقالة مطوَّلة بنسبة المئة الثالثة عشرة لتذكار استشهاد القديس جرجس ثم اردفناها برواية اثرٍ جديد من اعماله (١٠ [١٩٠٧]: ٤١٤–٤٢٠) شككنا في صحّة ما يروى عنهُ في قصّة قتلهِ للتنين سواء كان في بيروت كما هو شائع في بلاد الشام ام في غيرها كما يرويهِ بعض الكتبة. وكان من جملة ما استدللنا بهِ على زعمنا ما كتبهُ البولنديّون ائمّة الانتقاد في اخبار القدّيسين انَّ هذه القصّة لا اثر لها في كتابات المؤرّخين قبل القرن الحادي عشر اعني ٧٠٠ سنة بعد استشهاد ذاك البطل الصنديد

ثمَّ انَّ الكتبة المتأخرين قلّما يعيرون بالًا للتنانين والوحوش الغريبة التي ورد ذكرها في التواريخ القديمة بل يعدُّون رواتها قليلي التبصُّر في مواليد الطبيعة منقادين الى خرافات العوامّ واوهامهم الباطلة

وليست غايتنا في هذه المجالة ان ننقل آراء علماء الطبيعة في هذا الشأن ولا ان نبحث عن صدق الرواة الاقدمين في ما ذكروهُ من هذا القبيل وهم يؤكدون صحّتهُ. الّا أنّنا قرأنا في التواريخ القريبة الى زماننا قصّةً اجمع على حقيقتها مؤرخون موثوق بقولهم مع عدد كبير من شهود العيان (١). نعني بذلك تنّين جزيرة رودس الذي ظهر في زمن فرسان رودس في عهد رئيسهم العام هليون دي ڤيلنوڤ (Hélion de Villeneuve) الذي دبَّر طائفتهم من السنة ١٣١٩ الى سنة وفاته ١٣٤٦

فلمّا كانت السنة ١٣٤٠ تقريباً ظهر في الجزيرة تنّين عظيم كان على صورة ضب

(١) راجع تاريخ بواسا (Chronique de Boissat) ثمَّ تاريخ فرسان مالطة لفرتو (Vertot: *Histoire des Chevaliers Hospitaliers de St Jean de Jérusalem*. l. V. 137) ثم تاريخ جزيرة رودس لبليوتي (Biliotti: *L'Ile de Rhodes*. 146-150)

كبير شبيه بتماسيح النيل طولهُ بضعة اذرع وظهرهُ كظهر السُّلَحفاة صلابةً ذو قشور لا يعمل فيها الحديد ولهُ اربع ارجل تنتهي بمخاليب مرهفة وذنب طويل ورأسهُ شبيه برأس التمساح متفلطح على طرفيهِ اذنان كأذنَي البغل ولهُ فم واسع مع عدَّة انياب في فكَّيهِ وعيناهُ تقدحان نارًا. وكان لونهُ كمدًا كلون الحديد امَّا بطنهُ فكان ليّن الجلد يضرب الى اللون الاخضر. وعلى جانبيهِ زعنفتان كزعانف السمك او اجنحة الطير يستعين بهما في سيرهِ

فهذا الحيوان الغريب كان احتلَّ مغارة رطبة تعرف بمغارة مرپاس (Maupas) ويسمُّونها اليوم سَنْدَرولّي يترشَّح منها الماء فيسيل الى مستنقع هناك ذي مياه آجنة تنبعث منها الروائح القبيحة. وكان اذا اقترب من غورهِ حيوان وثب عليهِ فورًا فابتلعهُ. فكان يسطو على القطعان فيأكل خرافها ويلتهم البقر والخيل وربَّما هجم على الرُّعاة ففتك بهم حتى اصبح لاهل الجزيرة آفةً فسعى بعض كُماتهم بقتلهِ فلم يفلحوا اذ لم تكن اذ ذاك شاعت البندقيَّات الناريَّة فكان التنين يصرعهم بذنبهِ ثم يفترسهم

ثم اراد بعض فرسان رودس ان يوقعوا بهِ وينقذوا الجزيرة من شرّهِ فكان نصيبهم نصيب كماة الجزيرة حتى انَّ رئيس الفرسان السابق ذكرهُ امر مرؤوسيهِ ان يكفُّوا عن مقاتلة ذاك الوحش صونًا لحياتهم

وكان بين الفرسان شابٌ شجاع صادق البأس يُدعى ديودونه دي غوزون (Dieudonné de Gozon) من بلاد پروڤنسة جنوبي فرنسة من اسرة عريقة في الشرف. فهذا امتعض من امر الرئيس اذ كان يتلهَّب بأسًا وينوي ان يحرز لهُ اسمًا شريفًا بين كماة عصرهِ بقتل ذاك التنين

فلتحقيق نيَّتهِ طلب من رئيسهِ ان يعود مدَّةً الى قصر اجدادهِ وهناك اصطنع هيكل حيوان شبيه بهيكل التنين في صورتهِ وهيئتهِ ولونهِ وحركاتهِ واستحضر كلبَين من كلاب الرعاة الشرسي الطباع فاخذ يمرّنهما على قتل التنين ويضرّي الكلبين عليهِ لاسيَّما على بَقر بطنهِ الخالي من القشور فوجدهما طوع بنانهِ. وكذا فعل بفرسهِ ليعتاد منظر الوحش. فلمَّا تمَّ لهُ المرام عاد الى رودس ومعهُ الكلبان ثمَّ سار خفيةً عن رئيسهِ ودون علم الفرسان رصفائهِ الى مأوى التنين راكبًا جوادهُ شاكًّا بسلاحهِ بعد ان دخل كنيسة القديس اسطفان التي كانت مطلَّة على مقام الوحش وصلَّى فيها صلاةً

حارّة ليظفره الله بذاك الحيوان ثمّ سار وبيده رمحهُ لمقاتلة التنين

فما شعر الوحش بقدومهِ حتى خرج من غورهِ متنمّراً غيظاً يقصد افتراسهُ فثبت الفارس امامهُ وضربهُ برمحهِ دون ان يؤثّر ذلك في جسمهِ وانما تنفّخ نفخةً هائلة وزفر زفيراً هلع لهُ الجواد وارتدّ الى الوراء بخلاف الكلبين اللذين حملا على الوحش. فاسرع اذ ذاك الفارس ونزل عن جوادهِ ثمّ تقدّم الى التنين ليضربهُ بسيفهِ ضربةً قاضية. فرفع التنين رجليهِ ليهجم عليهِ فرأى الكلبان بطنهُ مجرَّداً فوثبا عليهِ بمخالبهِ وادخل الفارس سيفهُ في حلقهِ. فانتصب الوحش وضرب الفارس بذنبهِ ثم خارت قواه فسقط ميتاً فوق قرنهِ فضغطهُ بثقلهِ

فغاب الفارس عن الحواسّ وكاد يفطس من رائحة الوحش المستكرهة الّا انّ اثنين من خدّامهِ كان كشفهما سرّ مقاتلتهِ للوحش وهما يشاهدانهِ عن بُعد اسرعا فأتيا الى مساعدتهِ واخراجهُ بعد العناء والمشقّة من تحت الحيوان وجرّداهُ من اسلحتهِ. ثمّ نضحا الماء على وجههِ ففتح الفارس عينيهِ وكان اوّل ما وقع بصرهُ على التنين المضرَّج بدمهِ قريباً منهُ. فانتفض للحال وعادت اليهِ كلّ قواهُ ثمّ جثا راكعاً ليشكر الله على نجاتهِ وعلى خلاص الجزيرة من عدوّها

وكان خبر انتصار الفارس قد بلغ اهل المدينة وانتشر بينهم انتشار البرق فخرجوا الى ملاقاتهِ وادخلوهُ البلد مترنّمين بمديحهِ ناشدين الاهازيج صارخين: هوذا البطل الذي خلّصنا ومواشينا ودرعاتنا من الوحش الضاري والتنين الرهيب

على انّ رئيس الفرسان اذ بلغهُ صنيع مرؤوسهِ ساءهُ فعلهُ لمخالفتهِ اوامرهُ وقوانين رهبانيتهِ. فلم يشأ ان يسمع كلامهُ بل امر ان يُجرَّد من ثوب الفرسان ويُلقى في السجن دون ان يحنّ عليهِ او يرضخ لشفاعة اخوتهِ الفرسان

فما كان من امر ديودونه الّا ان رضي بحكم رئيسهِ ومشى الى حبسهِ ليكفّر عن ذنبهِ. فلمّا رأى الرئيس طاعتهُ وحسن سلوكهِ في قبول القصاص رضي عنهُ واعادهُ مسرعاً عند وصولهِ الى باب القاعة وقام فقبّلهُ واثنى على تواضعهِ وعلى شجاعتهِ معاً قائلاً: «انّ انتصارك على نفسك اعظم عندي من انتصارك على التنين» وردّ لهُ بزّة الفرسان واتى الجميع يهنّئونهُ على ظفرهِ بالتنين

وبعد ثلاث سنوات توفّي الرئيس هليون دي ڤيلنوف فوقع الانتخاب على

ديودونه دي غوزون كرئيس عام عليهم لما عرفوهُ من بسالته بعد قتلهِ التنّين قد يُرهم ثماني سنين من ١٣٤٦ الى ١٣٥٣

امّا التنّين فقُطع رأسهُ وعُلّق فوق احد ابواب المدينة المعروف بأمبواز فبقي هناك الى اواسط القرن التاسع عشر فعاينهُ كثير من زوّار رودس ووصفوهُ كما سبق

ولمّا كان الشيء بالشيء يُذكَر نقول انّ في تاريخ هذا التنّين الحقيقيّ ما يقرّب الى تصديق ما رُوي عن تنّين مارجرجس لو وردَ فيه خبر اكيد يرتقي الى زمن القديس

ولعلّ ما كتبهُ القزوينيّ في عجائب المخلوقات عن التنّين (ص ١٣٢) لا يخلو من بعض الصحّة بعد ما ورد عن تنّين رودس قال :

«التنّين حيوان عظيم الخلقة هائل المنظر طويل الجثّة كبير الرأس برّاق العينين واسع الفم والجوف كثير الاسنان . . . ولونهُ شبه لون النمر عليهِ فلوس مثل فلوس السمك وجناحين على هيئة جناحي السمك واذناهُ طويلتان وعيناهُ مدوَّرتان . . . »

والله اعلم !

مطبوعات شرقيّة جديدة

Abbas Tobias Anaissi : Collectio Documentorum Maronitarum . 1 vol . in-12 , pp. 217, Liburni 1921 .

مجموع آثار مارونيّة

كان حضرة الاباتي طوبيا العنيسيّ من الرهبانيّة اللبنانيّة الحلبيّة أتحفنا سابقاً بمجموع البراءات الممنوحة لطائفة الموارنة (Bullarium Maronitarum) فأثنينا على عملهِ (المشرق ١٥ [١٩١٢] : ٥٤٩) وعرضنا لمؤلّفه ما خطر على بالنا من التحسينات . وها هو اليوم تفضّل وارسل لنا مجموعاً جديداً من الآثار المارونيّة التي وقف عليها في سجلّات المجمع المقدّس وفي المكتبة الفاتيكانيّة ومكاتب اخرى في رومية العظمى ممّا يبلغ عددهُ ١٣٤ اثراً . فلا شكّ انّ كلّ الباحثين عن تاريخ الشرق المسيحي يُسرّون بهذه الاكتشافات ويشكرون لجامعها فضلهُ وهمّتهُ ويتمنّون ان تحذو كلّ

الطوائف حذوهُ فتنشر ما لها من الآثار المنبئة بعلاقاتها مع الكرسيّ الرسوليّ في ما سبق من الاجيال كما فعل ايضاً حضرة الاب صموئيل جميل للكلدان . على أننا نودّ انّ مثل هذه المنشورات المهمّة تبرز بكل ما يحقّ لها من الاتقان ولذلك نعرض على حضرة الاباتي طوبيا بعض الملحوظات على هذا المجموع الثاني الذي اطّلعنا على محتوياتهِ بكل رغبة فنقول : ١ً كان من المستجاد أن تُطبع هذه الآثار بقطع مجموع البولات تُضمّ اليهِ في التجليد . ٢ً نأسف على خلوّ المجموع الجديد كسلفهِ من فهرس موسّع للمواد واسماء الاعلام على طريقة حروف المعجم تسهيلاً للبحث عن محتوياتهما . ٣ً الاغلاط الطبعيّة في اللاتينيّة والايطاليّة متعدّدة تقتضي الاصلاح وان كان عددها اقلّ من المجموع السابق . ٤ً يوجد في هذه الآثار عدّة اقوال تستدعي بعض الايضاحات في ذيل الكتاب الذي يخلو منها تماماً . ٥ً بين الآثار المنشورة جديداً ما لا يفيد كثيراً الطائفة المارونيّة كمنح اوسمة او امتيازات شرقيّة لبعض الافراد مع الرقيم المشير اليها فانّ الموارنة الذين حازوا مثلها لا يُحصى عددهم فما الداعي لذكر بعضها . ٦ً وعلى خلاف ذلك يوجد آثار عديدة مهمّة لم نقف عليها في المجموعين معاً كبراءة البابا بندكتوس الرابع عشر الموجّهة الى الاكليروس الماروني في ١٦ شباط ١٧٤٢ لازالة ما وقع من الاضطراب في الجبل بسبب المجمع اللبناني وللدفاع عن المنسنيور يوسف السمعاني (Appendix ad Bullarium Pontificium S. C. de Prop. Fide, 97) التي اوّلها (Apostolicæ servitutis) . ٧ً وقد وجدنا اختلافاً في النصّ الاصلي بين ما نشرهُ حضرة الاباتي (في العدد ٩٦) وما نُشر سابقاً في طبعة المجمع اللبناني اللاتينيّة (عدد ٥) بخصوص براءة الحبر الاعظم اقليميس الثاني عشر الموجّهة الى المنسنيور يوسف السمعاني . فما هو سبب الاختلاف؟ . ٨ً قد خلط المؤلف (ص ١١٨) بين قنصل حلب المسيو بيسكه وقنصل بيروت ابي نوفل الخازن . وغير ذلك ممّا لا يسعنا ذكرهُ فرداً فرداً . واملنا ان يُعاد طبع المجموعين كليهما ويزاد في تحسينهما واتقانهما ليعوّل عليهما الكتبة المستشرقون ل . ش

W. Scott-Elliot: L'histoire de l'Atlantide. *Esquisse géographique, historique et ethnographique.* 1 vol. *traduit de l'Anglois*, Paris 1922

الاتلنديد قارّة ذكرها كتبة اليونان القدماء ورووا انّها غاصت في البحار فطمست

آثارها . وقد تعدَّدت اقاويل العلماء في تعريف موقعها واحوالها وليس في كلامهم ما يمكن الاستناد اليه لتحقيق امرها . ومن العجب انَّ صاحب هذا الكتاب الجديد يزعم انَّهُ وقف على حقيقة تلك القارة وموضعها وتاريخها وتعريف اهلها وقد ادرج في كتابه رسوماً وخوارط لاثبات قوله دون ان يدلَّ على اصل تلك الرسوم والظاهر انَّ كلامهُ اشبه باضغاث احلام تائهٍ منهُ بحقائق راهنة ج . ل

P. Boissonnade : Le travail dans l'Europe chrétienne au Moyen-Age V-XV^e siècles. *Un vol. in-8°, pp. 431 avec 11 gravures dans le texte, Paris. Alcan*, 1921, 18 fr.

الشغل في اوربَّة المسيحيَّة مدَّة القرون الوسطى

هذا الكتاب من جملة مجموعة يتولَّى نشرها احد اساتذة كليَّة فرنسة المسيو جورج رينار تحت عنوان « تاريخ عامّ للشغل البشري » . فعهد الى المسيو بوليسوناد تصنيف تاريخ الشغل في اوربَّة في القرون المتوسّطة وهو احد الاختصاصيين الذي درس تلك الاجيال درساً خاصاً وألَّف فيه التآليف المثبتة فهو اذن خير دليل في بيان ما حاول وصفهُ . فبعد ذكرهِ لهجوم الامم البرابرة على المملكة الرومانيَّة وعيثهم فيها بيَّن ما كان لبوزنطية من الفضل في معارضتها للبرابرة وايقافهم عند حدودهم مدَّة نحو الف سنة وبذلك اصبح الشرق لاوربَّة مثالاً ومرشداً فنسجت على منوالهِ تدريجاً ثمَّ استقلَّت بأعمالها . وكان للرهبانيات الاوربيَّة وللكنيسة عموماً في الوقت عينهِ حصَّة كبيرة في تلك النهضة التي بلغت اوج كمالها في القرون الوسطى حيث نشأت تلك الابنية الدينيَّة والمدنيَّة المتعدّدة التي تنطق بفضل اصحابها الوافرة وتشهد لهم بالتقدُّم في كلّ الفنون الصناعيَّة حتى انهُ يجوز ان تُدعى تلك القرون بعصر الصناعة والشغل الذهبي . وقد امسى الشغل منذ ذاك الحين ميزة فاقت بها اوربَّة على باقي المعمور . فتلك خلاصة الكتاب الذي نحن بصدده الذي يجب على كلّ محبّي الشغل ان يطالعوهُ ليقتبسوا من فوائده الاب ج . لوفنك

Seignobosc (Capitaine N.): Cours de Topographie élémentaire, à l'usage des Sociétés de préparation militaire. *7e éd., Paris Ch. Lavauzelle. in-12, 100 pp. et 102 figures, cartonné*, 2 fr 50

المرشد الى وصف الامكنة

هذا كتاب صغير الحجم قريب المأخذ يحتوي على ما يحتاج اليه تلامذة المكاتب

المندسيّة وهو يفيد ايضاً السيّاح الذين يراجعون خارطة البلاد التي يتجوّلون فيها

Albert Cherel : En relisant après la guerre Bazin, Bourget, Barrès,. 1 *vol. in-16, Paris, de Gigord. s. d.*

العود بالنظر الى كتابات بازن وبورجه وبارس قبل الحرب

بازن وبورجه وبارّس ثلثة كتبة شاعت تآليفهم قبل الحرب الكونيّة كان القرّاء يصدّقون على ما يحرّرونهُ في احوال فرنسة الادبيّة وفي مستقبلها. فاحبّ المسيو شيرل ان يعيد النظر في تلك الكتابات ليرى مَن من الثلثة كان اصدق نظرًا وأصوب رأيًا فصحّت ظنونهُ قبل الحرب ؟ فأدّى بهِ انتقادهُ لهذه الاثار بقراءة بان المجلي في هذه الحلبة انّما هو رينه بازن الكاتب العصريّ الجامع بين التديّن واصالة الرأي فضلًا عن طلاوة الانشاء والانسجام. ودونهُ بورجه الذي مع براعتهِ في الكتابة لم يُصِب في معالجة ادواء بلادهِ الى أن رآها رأيَ العيان في ابّان الحرب. وكان لبارّس تأثير خاصّ بالناشئة الافرنسيّة لكنّهم رأوا في زمن الحرب انّ وطنيّتهُ ينقصها روح الدين وتضحية الذات ج. ل

L'Orient vu de l'Occident, essai critique par E. Dinet et Sliman ben Ibrahim. *Paris, Geuthner*, in-12, pp. 104

انك لفي وادٍ وانا في وادٍ

أحسن المسيو دينه باختيارهِ هذا العنوان لكتابهِ فانهُ منذ جحد دين آبائهِ احتلّ وادياً بعيدًا من وادي أُمّتهِ فلا عجب ان يرى الامور على صورة تخالف ما يراهُ غيرهُ. وهل هو يا تُرى المُحِقّ او ليس هو بالاحرى مخدوعاً بسراب فيغلب اوهامهُ على حقيقة الامور. لستُ لأنكر ان المستشرقين ايضاً اذا كتبوا عن الاسلام واوائل تاريخهِ ربّما حادوا عن جادّة الحقّ ولعلّ الذنب في تضارب اقوالهم اعتمادُهم على كتبة العرب الذين دوّنوا في كتبهم اسانيد متباينة متناقضة تراها في الناسخ والمنسوخ وفي السير النبويّة وفي الاثر والخبر والحديث وتاريخ الطبري وطبقات ابن سعد ممّا لا يُدوَّن بالكتابة قبل اواسط القرن الثاني للهجرة. بخلاف الاناجيل التي يقرّ اليوم اعداء النصرانيّة انّها راقية الى زمن رسل المسيح. فكيف لا يضيع المستشرقون في تلك المهالك اذا ارادوا التفتيش عن الحقيقة. وقد اقرّ المسيو دينه في كتابهِ غير مرّة بوجود

هذه المناقضات وهو يستند لتفنيد خصومهِ الى ذات الاسانيد التي وجد المستشرقون فيها اثبات حججهم . هذا ومما ننكرهُ عليهِ قطعياً ما رواهُ (ص٤٢) عن كلّيتنا البيروتيّة وعن اشتراك تلاميذنا باهل الدينة في مواسمهم الدينيّة ل . ش

Dr P. Caujole : Les tribulations d'une Ambulance française en Perse. 1 *Vol. in-12*, 1921. *pp.* 180, *avec* 48 *Photographies, Paris « Les Gémeaux »*

مستشفى عسكري فرنساوي في العجم

في اواسط سنة ١٩١٧ ارسلت فرنسة على طريق اركنجل الى العجم بعثةً طبيّة لخدمة جرحى الجيوش الروسيَّة في حدود ارمنية وتركيَّة والعجم وكان عدد تلك اللجنة بالغاً ٦٠ طبيباً او جرّاحاً او ممرّضاً فصادف سفرُهم فَشَل روسيَّة وغارات الدول المركزيّة فلم يبلغوا اورمية حيث فتحوا المستشفى الّا بعد ثمانين يوماً اصابهم في مدّتها عدّة نكبات . فقاموا بمهنتهم في اورمية وخدموا الجرحى والمرضى مدّة ثمانية اشهر بغيرةٍ عظيمة بقطع النظر عن اديانهم وبلادهم فبلغ عددهم ٦٦٢ بين روسيين وعجم ومسلمين ونصارى . ثمَّ تفاقت الامور وانقطعت عنهم اخبار وطنهم الى ان جاءهم الامر بالعَوْد الى فرنسة . فحدَّث عما قاسوهُ في طريق رجوعهم من الاهوال والاتعاب وضروب الكوارث على طريق العجم والعراق الى بغداد ومنها بحرًا على عدن فبورسعيد فبيروت الى ان بلغوا مرسيلية وباريس في ٣ شباط ١٩١٩ . فهذه البعثة قد سطَّر تاريخها الدكتور كوجول وادمج فيها كثيرًا من المعلومات الجغرافيّة والتاريخيّة والاخلاقيّة تلذّ القارئ وتفيدهُ معاً . وقد سرَّنا ما اثبت فيها المؤلف من الثناء على الاشوريين الكلدان ورغبتهِ في ان تمنحهم الدول استقلالًا استحقُّوهُ بامانتهم وبأسهم

Die wechselnden Gesangsstücke der ostsyrichen Messe von Adolf Bücker (*Breslau*)

الالحان الدينية المختلفة في القداس السرياني الشرقي

كتب الطيّب الذكر المطران ادّي صليبا ضحيَّة الاتراك في زمن الحرب مقالتين شائقتين في المشرق (٢ [١٨٩٩] : ٦٨٤ و ٥ [١٩٠٢] : ٧٣٠) بيَّن فيهما قِدَم ليترجيَّة الكلدان وتفاصيل كتبهم القانونيَّة . وهذه مقالةٌ ثانيَّة لاحد اساتذة كليَّة

برسلو خصَّها بالغناء الكنسي الشائع عند الكلدان في ليترجيّتهم فبحث فيهِ بحثاً تاريخيّاً مدقّقاً وبيَّن ما طرأ عليهِ من الاختلافات في سابق الاجيال مع بيان خواصهِ والحانهِ وقابل بينهُ وبين طقوس الطوائف الشرقيّة الاخرى فأفاد واجاد

THE BATTLE OF MEGIDDO. Dissertation by **Harold Hayden Nelson.** *The University of Chicago*. 1913, *pp*. 63. *Photographies, Cartes*

واقعة ماجدُّو

كانت ماجدُّو مدينةً لبني كنعان في الالف الثاني قبل المسيح يعدُّونها كمفتاح بلادهم . فلمَّا طمع الفراعنة بنظرهم الى بلاد الشام كان اوَّل اهتمامهم فتح تلك المدينة . واعظم واقعة حصلت هناك انَّما كانت في عهد الفرعون تحوتمس الثالث احد كبار ملوك السلالة الثامنة عشرة فحاصر المدينة واخذها عنوةً في ١٥ أيار من السنة ١٤٧٩ قبل المسيح . وقد جاء في الآثار المصريَّة الهيروغليفيَّة عدَّة كتابات يفتخر فيها الفرعون لفتحهِ تلك المدينة الحريزة ومع كثرة ما ورد عن تلك الواقعة لم يتَّسع حتَّى الآن احد الكتبة في ظروفها تماماً ووصف تفاصيلها المختلفة فاراد الدكتور نلسون ان يتَّخذ هذه الواقعة كموضوع بحثهِ ومادَّة امتحانهِ لينال بها امتيازات اللغة في كليَّة شيكاغو . والحقّ يقال انَّهُ نظر في موضوعهِ نظراً شاملاً جامعاً فاستخرج الكتابات الهيروغليفيَّة مع ما اكتشفوا من الآثار حديثاً واثبت انطباقها على موقع ماجدُّو التي زار مرّتين اطلالها واستفاد من رصفائهِ معلوماتهم عنها . وممَّا يزين هذا الكتاب تصاويرهُ الشمسيَّة البديعة وخارطتاهُ لساحة وغى ماجدُّو ل . ش

LES INDUSTRIES EN SYRIE ET AU LIBAN par **Edmond Béchara** Ingénieur E. I. L. Le Caire, 1922, pp. 49

الحرف والصنائع في لبنان

هذه محاضرة حسنة القاها صديقنا وخرّيج كليَّتنا جناب المهندس الاديب ادمون بشاره في نادي الجمعيَّة اللبنانيَّة السوريَّة في مصر في ١١ ك٢ ١٩٢٢ فنشرتها مجلَّة العالم المصري ونقلتها الى العربيَّة مجلَّة المقتطف . فلمَّا اطّلعنا عليها وجدناها مطابقةً لما كنَّا ننتظر من همَّة وسعة معارف كاتبها . فانَّهُ احاط بالموضوع وبيَّن ما لسوريَّة ولبنان من موارد الثروة فوجد ٢٧ حرفة او صناعة يستطيع السوريُّون ان يترقَّوا منها وينتو

بلادهم باستثمارها . فنشكر جناب المؤلف على هذه الخدمة الجليلة التي اداها لوطنه ونحضّ اهل الشام ان يدرسوا هذه المحاضرة ويستفيدوا من معلوماتها الواسعة ل . ش

Introduction à l'étude du Droit Musulman Algérien par Marcel Morand. *Alger, Jules Carbonel*, 1921 pp. 215

مقدّمة المسيو مرسيل موران على كتابه في درس الحقوق الاسلاميّة الجزائريّة

انّ المسيو مرسيل موران متقدّم كليّة الحقوق في الجزائر واحد كبار الفقهاء يفوق على كل اقرانه بمعرفة القوانين الشرعيّة والاداريّة التي تجري عليها الحكومة في الجزائر منذ فتحها الّا انّهُ كصفانه الفقهاء قليل المعرفة للتاريخ فاذا بسط القضايا اصاب في تعريفها لكنّهُ لا يكترث بما افادنا النقد التاريخي منذ ٣٠ سنة اذ وقف المستشرقون على تقلّبات الفقهاء في اطوار التاريخ الاسلاميّ بينما هو لا يذكر غير النصوص القريبة العهد من عصره . وكنّا نودّ ان نلقى في كتاب المسيو موران درساً مدقّقاً للحقّ الاسلامي الجزائري الذي يقرّ عن جهله له (ص٩٥) مع انّهُ يصرّح بوجود بعض موارده كالفتاوى وغيرها (ص٨٦) . وممّا يؤسف له انّ فقه اهل الجزائر حتى يومنا هذا لم يدرسهُ احد ولولاهُ يبقى علم الحقّ الاسلامي مخلًّا فلا يستحقّ ان يُدعى الّا باسم الحقّ الاستعماري الفرنساوي في الجزائر وهو الذي اشتهر المسيو موران بتدريسه او يُدعى باسم الحقّ الاسلاميّ النظري الذي يختلف عن الحقّ الاسلامي العملي . وكان الاوفق لو باشر المسيو موران درس الحقّ المذكور قبل تصنيفه لكتابه المقدّمات السابقة لتدوين دستور الحقّ الاسلامي الجزائري فكان استفاد منهُ تأليفهِ

لويس دي برون

ماك سويني اللورد محافظ كورك

بقلم منصفان (الخوري منصور اسطفان)

المطبعة اليوسفيّة في القاهرة سنة ١٩٢٢ (ص ١٨٣)

اذا مات الجندي في ساحة الحرب اطراهُ وطنهُ واثنى الناس على شهامته وهنا بطل عظيم الهمّة شريف النفس لم يرَ واسطة للاحتجاج على مغتصبيه الّا ان يمتنع عن

كلّ طعام او يطلقوا له حرّيتهُ . فمات ضحيّة حبّهِ لوطنهِ اذ عرف انَّ موتهُ سيبعث في قومهِ عزماً جديداً في مطالبتهم الاستقلال لجزيرتهم . وهكذا كان . فان موتهُ نفع وطنهُ اكثر من حياتهِ . وكان في ايام صومهِ الاختياري لا ينقطع عن اتمام فرائضهِ الدينيّة الى آخر نفس من حياتهِ . والكتاب الذي نحن بصددهِ قد اتّسع مؤلفهُ الفاضل في تعريف ذاك الرجل العظيم ونشر كلّ ما من شأنهِ ان يبيّن تاريخ حياتهِ وجهادهُ في خدمة وطنهِ . فنحث بني الوطن على مطالعة هذا الكتاب ليستقوا من مناهلهِ فيخدموا بلادهم بنزاهة وتفانٍ . والكتاب يُطلب في البلدة من مكتبة الاديب يوسف صفير

مواعظ شهر ايّار على نسق الاب موزرلّي اليسوعي

تأليف السيّد انجيلو برساني دوسنا وتعريب القس يوسف غبريل الراهب اللبناني

طُبع في بيروت سنة ١٩١٤ (ص ٥٧٦)

مذ نشر الاب الفونس موزرلي سنة ١٧٨٥ كتابهُ الشهير في الشهر المريميّ (اطلب المشرق ٥ [١٩٠٢] : ٣٨٥—٣٩١) قد اضحى ذلك التأليف كدستور هذه العبادة التي عمّت اليوم اطراف الشرق والغرب . وقد نسخ كثيرون على منوالهِ وتقلّدوهُ على ضروب مختلفة . ولعلّ هذه المواعظ التي ألّفها في الايطالية سيادة اسقف باتارا انجيلو برساني دوسنا من افضل ما شاع من ذلك فأحبَّ حضرة القس يوسف غبريل الشبابي الحلبي اللبناني ان ينقلهُ الى لغتنا ليستفيد بهِ المتعبدون للعذراء في هذه البلاد . فجازاه الله خيرًا عن عمله ل . ش

دستور الحياة الروحيّة

للعلّامة الاب سورين اليسوعي

ترجمهُ عن اصلهِ القسّ مبارك المتيني اللبناني (طُبع في بعبدا سنة ١٩١٤ ص ٣٣٩)

هذا احد آثار ذاك الراهب الصالح والعالم العامل الـذي فقدهُ الدين والوطن في العام الماضي القس مبارك المتيني اوّل ملفان في اللاهوت من كليّة القديس يوسف —

وقد احسن كل الاحسان بتعريبهِ هذا الكتاب الذي وضعهُ احد معلّمي السيرة الروحيّة الكبار من القرن السابع عشر وينهج لطالبي الكمال افضل طرائقهِ على منوال قريب وفي غاية الوضوح. وكفى لبيان فضلهِ ما كتبهُ فيهِ نابغة زمانهِ بوسويه: «انا وجدنا في هذا الكتاب فوائد راهنة وجديرة بان ترقّي الانفس الى الله بحسب الروح المسيحي الاكليريكي والرهبانيّ». ل. ش

شذرات

﴿احصاء لبنان الكبير﴾ نشرت الحكومة الاحصاء الرسميّ للبنان الكبير في اوائل الشهر المنصرم فننقل عنهُ بعض نتائجهِ لافادة القرّاء. انَّ مجموع هذا الاحصاء اجمالاً يبلغ ٧١٠،٥٦٢ نفساً فهو اذن دون الثلث من اهل سوريّة البالغ على ما يظنّ ٣،٠٠٠،٠٠٠ من النفوس. ولبنان الكبير يُقسم الى ستّة اقسام او قائمقاميّات اوفرُها عددًا لبنان المتوسّط وعدد اهلهِ ١٩٩،٨٩٥. ثم لبنان الشمالي ١٣٦،٤٩٨ ثم لبنان الجنوبي ١٣٠،٣٦١. ثم لواء البقاع ١١١،٩٦٤. ثمّ مدينة بيروت ٩٤،٤٣٢. ثمّ طرابلس ٣٧،٤١٢. أمّا من جهة الطوائف فاوفرهم عددًا الموارنة ١٩٩،١٨١. ثمّ المسلمون السنّيون ١٢٤،٧٨٦. ثم الشيعيُّون ١٠٤،٩٤٧. ثم الروم الارثوذكس ٨١،٤٠٩. ثمّ الدروز ٤٣،٦٣٣. ثم الروم الكاثوليك ٤٢،٤٦٢ ثمّ البروتستنت ٤،٢١٥. ثم مختلفون اعني لاتين وارمن وسريان وكلدان ٨،٤٣٦ مع اجانب ٢٠،٢٥٠. وفي المجموع المذكور يدخل عدد من المهاجرين يبلغ ١٣٠،٧٨٤. والمنتخبون من المجموع ٧٧،٨٢٠. أمّا عدد النوّاب فيكونون ثلثين ١٠ موارنة و٦ سنّيون و٥ شيعيُّون و٤ اورثذكس ثمّ ٢ من الروم الكاثوليك و ٢ من الدروز و ١ عن المختلفين

﴿الصاعقة واسبابها﴾ كثيرًا ما تدوّي الصاعقة في ختام الشتاء واوائل الربيع

بعد وميض البرق فيُسمع لصوتها قعقعة هائلة ترتعد الفرائص احياناً لهديرها · ومع كثرة البحث عن اسباب الصواعق لم يزل امرها قليل الوضوح · وممَّن درس هذه الظاهرة الجوّية مؤخرًا احد علماء الطبيعيَّات في واشنطون المستر همفريس (W. J. Humphreys) فنشر في احد اعداد جريدة معهد فرنكلين مقالةً مستطلعة بحث فيها عن الاصوات الجوّية ومن جملتها الصاعقة التي يُعرف ما بينها وبين البرق من العلاقة اذ ليس صاعقة الّا مسبوقة ببرق · والبَرق اصطكاك يحصل بين السُّحب باندماج كهربائيَّتها فيحصل من ذلك نورٌ ينتشر في السماء على مسافات بعيدة وصوت لا يُسمَع الّا عند قرب السُّحب من العيان · وهذا مما يُجمع عليهِ الطبيعيُّون لكنَّهم لم يتَّفقوا على تعريف خواص هذا الصوت وطول ضجيجهِ على خلاف البرق الذي يلمع بطرفة عين · لا شك انَّ السحب عند اصطكاكها بعضها ببعض او عند مسّها للارض بفعل الطاقة الكهربائية تنفصل دقائقها بغتةً وبشدّة ويحمى الهواء فتتخلَّل اجزاؤهُ فيحصل لذلك انفجار كما يحصل عند اطلاق المدافع · اما سبب امتداد الصوت على مدَّة بضع ثوانٍ الى قريب من نصف دقيقة بخلاف البرق السريع اللمعان فانَّ ذلك يتأتَّى من سرعة انتشار نور البرق الذي يمتدّ على مسافات بعيدة دون ان يستطيع النظر ان يتبع تموُّجاتهِ بخلاف الرعد الذي يسير حيثما ظهر البرق لكنَّ صوتهُ بطيء الحركة فلا يبلغ مسامعنا الّا تدريجاً على مقتضى قرب السحب او بعدها · فهبْ انَّ وميض برق يقطع في الثانية ثمانية كيلومترات لامتداد الغيوم على هذه المسافة فانَّ الرعد ربَّما بلغ آذان السامع تدريجاً في مدّة لا تقلّ عن ٢٤ ثانية · وهذه المدّة تختلف في الوقت ذاته على اختلاف موقع السامع بالنسبة الى تلك الغيوم · ولا بدَّ ايضاً من اعتبار الصدى الذي يعكس صوت الرعد ويزيدهُ شدّةً وامتداداً لاسيَّما في الاودية والجبال · ويوجد بين صوت المدافع وصوت الرعد فرقٌ ظاهر فانَّ صوت المدافع اقوى وأهول فيُسمع عن بُعد بخلاف الرعد الذي لا نسمعهُ على مسافة ٢٠ الى ٢٥ كيلومترًا والسبب في ذلك انَّ اطلاق المدافع يحدث في مركز واحد من دائرة محدَّدة ويسير في طبقةٍ من الهواء اكثف من السحب المتخلخلة التي يبرق فيها البرق · وهذا من عناية الخالق الذي يلطِّف عن البشر في الرعد اصوات المدافع المزعجة

ج · ل

﴿ سباق ادبيّ ﴾ هذه اوّل مرَّة وقفنا للماسون على عمل ادبيّ وان لم يكن مجرَّدًا من الغاية لترويج شيعتهم · كان محفل رشيد الحديث الانشاء في بيروت اقترح على الكتبة وضع مقالة في الازمة التجاريَّة في سوريَّا وبيان اسبابها وعلاجها · فاجتمعت لجنة لفحص المقالات التي قدَّمها المتسابقون في هذه الحلبة وعددهم اربعة عشر كاتباً فحكمت بالجائزة البالغة الف فرنك لكاتبي مقالتين قسمتها بينهما · وقد اطَّلعنا على المقالتين في جريدة البرق تحت العددين ١٤٨٨ و ١٤٨٩ فوجدناهما مع حسنهما لا تتجاوزان الطبقة المتوسّطة من الكتابة لفظاً ومعنًى · ثمَّ اطَّلعنا على مقالة أُخرى كان قدَّمها الكاتب الاديب عبدالله بك رزق الله خير للمحفل امتحاناً لنزاهتهِ في الحكم لغير المنتظمين في سلك اخوانهِ الاحرار · فلم تنل طرفتهُ ما استحقَّتهُ من الاعتبار فادرجها في تسعة اعداد من جريدة الوطن فاذا هي تفوق على تينك المقالتين فوق الذهب على الصفر والبدر على السُّها · فكان سكوت اللجنة الحاكمة عنها احسن دليل على انَّ الماسونيَّة لا تطلب في اعمالها الَّا خدمة بني الارملة

﴿ نبأ رسميّ عن الماسونية البيروتيّة والدمشقيّة ﴾ استفدنا من تشكيل اللجنة المعيّنة للحكم في الاقتراح السابق ذكرهُ انَّ السادة · عمر بك الداعوق وسليم افندي دانا واسكندر افندي حدّاد والدكتور حسن بك الاسير وتوفيق افندي حماده وتوفيق افندي الناطور · من ابناء العشيرة الماسونية · وكذلك افادنا صاحب جريدة الانوار الماسونيّة (عدد ٥) يوسف افندي الحاج انَّ الاحرار (اعني الفرمسون) نهضوا من سِنتهم بهمّةٍ في طرابلس وحمص وحماة وصلبك وجونية · وتمكَّنوا من وضع حجر الاتّحاد · ثمَّ ذكر حفلة تأسيسيّة · لوضع حجر الزاوية حسب المراسم القانونيّة · (اي الماسونيّة) لمحفل سوريّا الجديد فذكر اسم رئيسهِ نعمان بك ابي شعر واسم الاخ شاكر بك حنبلي خطيب المحفل ثمّ الاخ عبدو كحيل · وكان خطاب الاخ يوسف الحاج مسك ختام تلك الحفلة فتعطَّروا باريجهِ وسكروا بخمرتهِ!

﴿ العرفان والبابوية ﴾ نشكر مجلّة العرفان على ما كتبته في عددها الاخير جمادى الثانية (٢٩٧—٣٠٠) في مديح الحبر الاعظم الطيّب الذكر بندكتوس الخامس عشر وفي انتخاب خلفهِ بيوس الحادي عشر وقد الحقت ذلك بفصل عن تاريخ البابوية وجدنا فيهِ اشياء نقلتها على علّاتها عن مصادر لا يوثق بها

أسئلة وأجوبة

س سأل حضرة القس يوسف النوسطاوي رئيس دير فيطرون ما هي علاقة الدول الكاثوليكيّة كفرنسة واسبانيا والنمسة بانتخاب الباباوات وهل هذا الامتياز لتلك الدول قديم العهد ؟

الدول الكاثوليكيّة وعلاقاتها بانتخاب الباباوات

ج ان الباباوات منذ القرن التاسع جزاء لما اداهُ ملوك بعض الدول من الخدم للكنيسة منحوهم ان يُبدوا رأيهم في انتخاب الباباوات فاذا وجدوا بين الكرادلة من يعدُّونهُ مخالفاً لدولتهم طلبوا بواسطة سفرائهم من الكرادلة المنتمين الى بلادهم ان يعدلوا عن انتخابهِ . وكثيراً ما حدث بسبب تداخل الملوك امور مزعجة تلقي الشقاق في مجمع الكرادلة . وهذه الامتيازات والحمد لله قد أُلغيت منذ رَفَع الدول حمايتها عن الكرسي الرسولي بوضع يد ايطالية ظلماً على رومية ثمَّ بحكم بيوس العاشر

س وسأل جناب الكيّ يوسف افندي صفير : ١° من هو اغناطيوس مطران نابلس المذكور في مقالة حضرة الاب ابرهيم حرفوش عن الاديار القديمة في كسروان (ص ٧٥٤ س ٢١ من المجلد الثامن للمشرق) . ٢° من هو المطران اسحاق دبيّه الذي وجد في بعض المجاميع الكرشونيّة تاريخ وفاتهِ سنة ١٧٣٩

اغناطيوس مطران نابلس الماروني — المطران اسحاق الدبّية

ج لا نعرف لنابلس مطراناً بهذا الاسم وعلى ظنّنا ان الصواب اسقف طرابلس وهو المطران اغناطيوس الخازن الحادي عشر من اساقفة طرابلس (راجع المشرق ٨ : ٤٠٣ وبرنامج اخويّة القديس مارون ص ٣٣١) . امّا المطران اسحاق الدبّية فلم نجد لهُ ذكراً في كتب التاريخ . والعجب انهُ لم يُذكر اسمهُ بين الموقعين على اعمال المجمع اللبناني المنعقد سنة ١٧٣٦ اي ثلاث سنين قبل وفاتهِ

س وسأل الشمّاس شكري أيوب ما هو اصل اسم حلب والى ايّ عهد يرتقي بناؤها ؟

حَلب : اسمها وقدم عهدها

ج لحضرة الاب بولس جوون في حلب واسمها وآثارها فصلٌ ممتع في المشرق (٢ [١٨٩٩] : ١٤ و ١١٦) فليُراجع
ل . ش